

التمثيل الديناميكي للواقع والذات بين العالم الحقيقي والافتراضي

أ.د عادل عبد السميع عوض¹
كلية الآداب جامعة المنصورة
(جمهورية مصر العربية)

تاريخ الاستلام: اليوم / الشهر / السنة
تاريخ القبول: اليوم / الشهر / السنة

ملخص:

يهدف البحث الحالي إلى استكشاف مفهوم التمثيل الديناميكي للواقع والذات، وهو مفهوم يتعلق بكيفية تمثيل وتجسيد العالم الحقيقي والكائنات الفردية في البيئات الافتراضية. يتم تناول هذا الموضوع من خلال تحليل ومقارنة وجهتي نظر متعارضتين: النظرة التقليدية والنظرة الإيكولوجية أو البيئية.

تعتمد النظرة التقليدية على رؤية تمثيلية للإدراك والعمل في البيئات الافتراضية، حيث يتم التخطيط والتنظيم للأنشطة والتفاعلات بشكل مسبق ومحدد. ومن الجدير بالذكر أن هذه النظرة تعتبر الأسلوب التقليدي الذي اعتمدت عليه البيئات الافتراضية في الماضي.

بالمقابل، تعتبر النظرة الإيكولوجية أو البيئية مستوحاة من نهج جيبسون البيئي للإدراك وتعتقد أن الإدراك والعمل في الواقع الافتراضي لا ينفصلان ولا يتطلبان تمثيلات عقلية مسبقة. بدلاً من ذلك، يعتبر هذا النهج أن الأنشطة المجسدة والتجاوب الفوري مع البيئة هي جزء لا يتجزأ من التجربة الواقعية في الواقع الافتراضي.

Abstract : (not more than 10 lines)

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article). Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

¹ اسم ولقب المؤلف

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

1. مقدمة:

تعد الواقعية الافتراضية واحدة من التقنيات الحديثة التي تهدف إلى إنشاء بيئات تفاعلية تشبه الواقع الحقيقي وتوفر تجارب واقعية للمستخدمين. وقد شهدت هذه التقنية تطوراً مذهلاً على مدى السنوات القليلة الماضية، مع تقدم التكنولوجيا وتحسين أداء الأجهزة والبرمجيات المستخدمة في إنشاء وتشغيل البيئات الافتراضية.

يهدف البحث الحالي إلى استكشاف مفهوم التمثيل الديناميكي للواقع والذات، وهو مفهوم يتعلق بكيفية تمثيل وتجسيد العالم الحقيقي والكائنات الفردية في البيئات الافتراضية. يتم تناول هذا الموضوع من خلال تحليل ومقارنة وجهتي نظر متعارضتين: النظرة التقليدية والنظرة الإيكولوجية أو البيئية.

تعتمد النظرة التقليدية على رؤية تمثيلية للإدراك والعمل في البيئات الافتراضية، حيث يتم التخطيط والتنظيم للأنشطة والتفاعلات بشكل مسبق ومحدد. ومن الجدير بالذكر أن هذه النظرة تعتبر الأسلوب التقليدي الذي اعتمدت عليه البيئات الافتراضية في الماضي.

بالمقابل، تعتبر النظرة الإيكولوجية أو البيئية مستوحاة من نهج جيبسون البيئي للإدراك وتعتقد أن الإدراك والعمل في الواقع الافتراضي لا ينفصلان ولا يتطلبان تمثيلات عقلية مسبقة. بدلاً من ذلك، يعتبر هذا النهج أن الأنشطة المجسدة والتجاوب الفوري مع البيئة هي جزء لا يتجزأ من التجربة الواقعية في الواقع الافتراضي.

من خلال استعراض بحوث علماء النفس والفلاسفة وعلماء الاجتماع، يقدم البحث نظرة شاملة حول استجابات الناس للواقع الافتراضي وكيفية تأثيرها على سلوكهم واتصالاتهم. يعمل البحث على تحليل التحديات والفرص التي يمكن أن تنطوي عليها البيئات الافتراضية في المستقبل، وكذلك الاستخدامات المحتملة للتمثيل الديناميكي في مجالات مختلفة مثل التدريب والتعليم والطب والترفيه.

بشكل عام، يعد هذا البحث مساهمة قيمة في فهمنا للتمثيل الديناميكي للواقع والذات في العالم الحقيقي والافتراضي. يسلط الضوء على التطورات التكنولوجية الحديثة وتأثيرها على حياتنا اليومية، ويعزز الوعي بأهمية توفير تجارب واقعية وملائمة للمستخدمين في البيئات الافتراضية. كما يشجعنا على التفكير في التحديات والفرص المستقبلية المرتبطة بهذا المجال المثير للاهتمام.

نقدم هنا نظرة بديلة للبيئات الافتراضية بناءً على تحليل وجهتي نظر متعارضتين: وجهة النظر التقليدية ووجهة النظر الإيكولوجية أو البيئية. تناادي وجهة النظر التقليدية برؤية تمثيلية للإدراك والعمل المعرضين للتخطيط على الإعدادات الافتراضية. تعد وجهة النظر البيئية، المستوحاة من نهج جيبسون البيئي للإدراك، أن الإدراك والعمل لا ينفصلان، وعمليات مجسدة لا تنطوي على تمثيلات عقلية. إن الرأي البديل المطروح هنا يدعي توضيح الآراء المتعارضة، أي النظرة الإيكولوجية/التمثيلية للبيئات الافتراضية، وتوفير فكرة ومستويات التمثيل الضمنية في العمليات الإدراكية والوظيفية يتم تحديده وظيفيًا)

(2).

على مدى ربع قرن الماضي، أدى التطور المتزايد والتطبيقات المتعددة لتقنيات الواقع الافتراضي إلى مجموعة متنوعة من البيئات الافتراضية المكتبية والغامرة (VES)، والتي ينتشر تنفيذها في مجالات الحياة المختلفة بدءاً من الاتصالات المتنقلة اليومية، والمهام القائمة على الكمبيوتر، والخدمات المصرفية الإلكترونية، والتعلم التعاوني، إلى استخدامات محددة في البحث العلمي والرعاية الطبية والصناعة العسكرية وغيرها. أدى هذا التطور المتزايد إلى ظهور جزء كبير من الأدبيات القادمة من تخصصات متنوعة وتتناول جوانب مختلفة من VES. من ناحية أخرى، درس علماء النفس استجابات الناس الإدراكية والمعرفية والعاطفية والسلوكية لـ VES وناقشوا الصلاحية البيئية للواقع الافتراضي كأداة بحث. قام علماء الاجتماع ومنظرو الاتصالات بتحليل تأثير الاتصال الافتراضي والثقافة السيبرانية على الممارسات والأنشطة المشتركة بين الموضوعات التي يتم تنفيذها في VES. درس الفلاسفة الآثار الميتافيزيقية والمعرفية لـ VES من حيث وضعها الأنطولوجي وآثارها على إدراك الناس وأحكامهم للواقع (3).

من ناحية أخرى، ركزت الأبحاث متعددة التخصصات حول VES، والتي تمثلت في الغالب في الجهود المشتركة للفلاسفة وعلماء النفس والعلماء المعرفيين الذين يعملون على البيئات الغامرة، على ظاهرة الوجود، أي الشعور «بالتواجد» داخل VE. أثارت التحقيقات في طبيعة الوجود في VES قضايا حول البعد التكيفي للإدراك والعمل في العوالم الافتراضية، وكانت مدفوعة بشكل أساسي باتجاهين. يعد الاتجاه الأول، الذي يمكن تسميته بالرؤية التقليدية أو العقلانية، الوجود كحالة داخلية ذاتية (أي الشعور) نشأ من الانغماس الإدراكي للعامل وتفاعله مع عالم خارجي متكاثراً رقمياً (أي بيئة

(2) Rosas, O. (2008). On the ecological/representational structure of virtual environments. In Briggles, A., Waelbers, K., & Brey, P. A. E. (Eds.) Current issues in computing and philosophy. IOS Press, p13.

(3) Ibid p.13.

افتراضية). وقد قيل إن الإصدارات النظرية المؤلفة لهذا الاتجاه لا تزال تنقل انقسام الموضوع/الكائن قديم الطراز، وتزيد من الادعاء بأنه لكي يدرك الوكلاء بنجاح ويتصرفون في VEs، يتعين عليهم تجنيد تمثيلات عقلية من أجل سد الجوانب الذاتية والموضوعية للتجربة الافتراضية⁽⁴⁾.

البيئة الافتراضية هو عالم اصطناعي، تم إنشاؤه باستخدام أجهزة الكمبيوتر، والذي يمكن أن يمنح المراقب إحساسًا بـ «التواجد» في البيئة. لهذا الغرض، هناك حاجة إلى أجهزة إدخال مختلفة للتفاعل مع البيئة أو التلاعب بها (مثل مفاتيح المؤشر أو عصا التحكم أو متتبع الرأس). يمكن تقديم العالم الاصطناعي بصريًا على شاشة سطح المكتب، أو شاشة مثبتة على الرأس، أو على شاشة عرض واحدة أو أكثر، وأحيانًا يتم دمجها مع الصوت (المكاني)، والاستجابة اللمسية، وأحيانًا حتى الروائح أو الإشارات الحرارية. مع تطور هذه الأنواع من الوسائط، إزدادت بشكل كبير إمكانية تزويد المشاهدين بتمثيل دقيق للتجربة غير الوسيطة. وبالتالي فإن هذه البيئات الوسيطة قادرة على إثارة استجابات وسلوك مشابه لتلك التي تم تصويرها في البيئات الحقيقية. أساس هذا المنطق هو مفهوم الواقعية السلوكية، الذي يستند إلى فرضية أنه، كعرض يقارب بشكل أفضل البيئة التي يمثلها، فإن استجابات المراقب للمحفزات داخل العرض تميل إلى تقريب تلك التي سيعرضها استجابة للبيئة نفسها. للحصول على الواقعية السلوكية، يجب على المرء أن يقدم بيئة غنية حسيًا وواقعية من الناحية الإدراكية تسهل التفاعل الطبيعي بين المستخدم والبيئة (وكذلك الأشياء الموجودة فيها). يجادل لوميس وبلاسكوفيتش وبيل (1999) بأن "النظام التمثيلي النهائي سيسمح للمراقب بالتفاعل بشكل طبيعي مع الأشياء والأفراد الآخرين داخل بيئة محاكاة أو "عالم"، وهي تجربة لا يمكن تمييزها عن "الواقع الطبيعي"⁽⁵⁾.

(4) Ibid.p13.

(5)Y. A.W. de Kort, W. A. IJsselstein, J. Kooijman, and Y. Schuurmans: Virtual Laboratories: Comparability of Real and Virtual Environments for Environmental Psychology. Presence (2003), 12 (4): 360-373.p361.

الاتجاه الثاني، المعروف باسم وجهة النظر الإيكولوجية، يعتمد بشكل أساسي على نهج جيبسون البيئي للإدراك ويعتد الوجود ظاهرة موحدة، نابعة من التفاعل ذاته بين العامل وبيئته. من وجهة النظر هذه، فإن الوجود هو وعي الوكيل بوجوده في العالم (الافتراضي)، وهو نوع من الوعي الذي يُزعم أنه ينشأ من تشابك «الإدراك الافتراضي» للوكيل و «العمل الافتراضي». يقال إن الوكيل يدرك بشكل مباشر فرص العمل أو «التكاليف» التي توفرها VE، وللقيام بذلك لا يحتاج إلى تجديد تمثيلات لأن المعلومات الإدراكية المطلوبة للعمل متاحة بالفعل في نفس هيكل VE.

كان النقاش المعارض للمدافعين عن كل اتجاه يدور في الغالب حول المزايا التفسيرية لرأي واحد على الآخر. بصرف النظر عن بعض الاستثناءات، أولى المؤلفون القليل من الاهتمام لإمكانية بناء الجسور والعمل على الوصلات البينية بين آرائهم. ومع ذلك، عند الفحص الدقيق، فإن كلا الرأيين مكملان لبعضهما البعض لدرجة أنه يمكن فهم المعنى البيئي للنقطة بشكل سليم من الناحية التمثيلية. وهذا يعني بالتأكيد إعادة النظر في مفهوم ومستوى التمثيل المفترض ضمناً في تصور التكاليف بالإضافة إلى توضيح الأسباب التي عالجها المدافعون عن النظرة البيئية لاستبعاد أي سمات تمثيلية للتصور.

الهدف هنا ذو شقين. أولاً، إن السرد البيئي للإدراك والعمل لا يتعارض بالضرورة مع النظرة التمثيلية للعقل. نستند إلى ثلاث حجج قادمة من الدراسات التطورية والأبحاث النفسية العصبية لدعم هذا الادعاء والدفاع عن نموذج بيئي/تمثيلي للإدراك والعمل. ثانياً، خلال تنفيذ المطالبة السابقة، يمكن تفسير VES بدقة ضمن هذا النموذج، وأن مثل هذا النموذج يسمح بفهم تمثيلي للتكاليف الافتراضية والحقيقية التي تساعد في تصميم VE.

فيما يلي هيكل الدراسة. يقدم القسم التالي ويحلل المصدر الأساسي والافتراضات للرؤية الإيكولوجية لمركبات VES. يقدم القسم الثاني الحجج الثلاث ضد وجهة النظر الإيكولوجية التي لا تأخذ في الاعتبار التمثيلات في

تفسيرها للتصور والعمل. يستفيد القسم الثالث من نتائج القسم السابق وينفذها للدفاع عن هيكل إيكولوجي/تمثيلي لـ VES. ويخصص القسم الأخير لبعض الاستنتاجات والقضايا للبحث في المستقبل.

يعنى مصطلح الوجود الشعور الذاتي بالوجود داخل بيئة معينة. يعد مفهوم الوجود هذا، والشعور «بالتواجد»، أمرًا أساسيًا في مساعي التشغيل عن بعد والواقع الافتراضي، وقد ظل منذ تصوره. نتيجة لذلك، ليس من المستغرب أن يتم تكريس جهد كبير للأسئلة التي تنبع من تعريفات التواجد، على سبيل المثال: ما الذي يحدد التواجد؟ كيف يمكن قياس الوجود؟ عند فحص هذه الأسئلة، تتم المقارنة، ضمناً في كثير من الأحيان، بمفهوم الوجود في مواقف العالم الحقيقي: الشعور، وكذلك الحقائق المادية لـ «التواجد هنا». على الرغم من أن هذه المقارنة قد تبدو للوهلة الأولى أنها تزرع فحوصات الوجود في أنظمة التشغيل عن بعد والواقع الافتراضي على أساس نظري ثابت، إلا أن هذا في الواقع بعيد كل البعد عن الصحة. لقد كافح الفلاسفة مع مثل هذه الأسئلة حول طبيعة الوجود في العالم لعدة قرون. علم الأنطولوجيا هو الاسم الصحيح لمثل هذه الدراسة، وهو مجال فرعي من التحقيق الميتافيزيقي. يؤكد أحد المواقف أن فهم الوجود يقوم على فهم العلاقة بين المجالين النفسي والجسدي. يشار إلى هذا الموقف على أنه التقليد العقلاني. إنها النظرة الميتافيزيقية الكامنة وراء الغالبية العظمى من التنظير الحالي في مجالات متنوعة مثل علم النفس الإدراكي والذكاء الاصطناعي. نؤكد أن هذا الرأي يكمن أيضاً وراء الواقع الافتراضي الحالي ونظرية نظام التشغيل عن بعد. هناك موقف بديل ينص على أن الوجود مرتبط بتفاعلنا الجسدي الطبيعي اليومي مع البيئة المادية. كل من الفيلسوف مارتين هايدجر وعالم النفس جيبسون من مؤيدي هذا الموقف الأخير⁽⁶⁾.

(6)P. Zahorik and R. L. Jenison: Presence as Being-in-the-World. Presence (1998), 7(1): 78-89.p98.

1. النظرة الإيكولوجية لـ VEs: الإدراك دون تمثيلات
يمكن العثور على أوراق Flach & Holden ، و Zahorik & Jenison ، و Mantovani & Riva ، و Biocca ، و Gross و Stanney و Cohn بين آخرين، الصادرة في مجلة
"Presence"، الأسس الفلسفية والنفسية للرؤية
الإيكولوجية للبيئات الافتراضية (VEs). على الرغم من
أن هؤلاء المؤلفين كانوا مهتمين عادةً بإيجاد طرق
مناسبة لتوضيح الطبيعة الوجودية والمعرفية للوجود،
أي ما إذا كان شعورًا ذاتيًا أو حالة موضوعية تيسرها
العروض التكنولوجية، إلا أن هذا القلق لا يمثل سوى جزء
بسيط. والمفهوم الضمني العميق في آرائهم هو فكرة أن
الفهم الواضح لكيفية الترابط الفعلي بين الإدراك
والعمل في البيئات الحقيقية يجب أن يدفع البحث في
تصميم وتنفيذ التكنولوجيات الملائمة، وأن هذا الفهم لا
يمكن اكتسابه بالاعتماد على المفاهيم التقليدية
للإدراك والعمل. من أجل توفير أسباب مناسبة لهذا
المشروع، يعتمد هؤلاء المؤلفون على مصدر نظري مشترك
ويتشاركون في افتراض منهجي مشترك. غالبًا ما يأتي
المصدر المشترك الذي يستشهد به المدافعون عن النظرة
البيئية من نهج جيبسون البيئي للإدراك. ويُفترض أن هذا
النهج هو إطار غير عقلاني وموقعي مناسب لفهم التشابك
بين الإدراك والعمل في البيئات الحقيقية. وينطوي
الافتراض الشائع على أن مركبات VE متساوية الشكل في
البيئات الحقيقية بقدر ما يمكن نمذجة ديناميات
الإدراك/العمل في الأولى بدقة على الهيكل الإيكولوجي
للبعثات الأخيرة. دعونا ننظر في الآثار المترتبة على
المصدر والافتراض بشيء من التفصيل⁽⁷⁾.

1.1. وجهة نظر جيبسون البيئية

من المستحيل استخلاص تسلسل سبب ونتيجة الأحداث خلال
تفاعل الدماغ مع البيئة، وبالتالي فمن الصعب التنبؤ
بأي قدر من الدقة بما إن كان شخص ما سيصبح مدمناً على
ألعاب الفيديو. من المحتمل أن تكون هناك آثار

(7) Rosas,o,p15.

تراكمية ناجمة عن عوامل الخطر مثل: تدني الوضع الاجتماعي والاقتصادي، والاكتئاب الوالدي، وإجرام الوالدين، والعنف المنزلي، وتعاطي الوالدين للكحول، والتي يمكن معاوضتها بدرجة تزيد أو تقل بالعوامل الوقائية. ولكن في حالة صديقي الذي ينتمي إلى الطبقة المتوسطة وابنه الذي تلقى تعليماً باهظ التكلفة، فلا ينطبق عليها أي من عوامل الخطر تلك.⁽⁸⁾

تتمثل وجهة النظر الأكثر قبولاً في أن ما جرى في أدمغة المدمنين على ألعاب الفيديو لا يختلف نوعياً بل يختلف من الناحية الكمية عما يحدث في أدمغة من هم أقل هوساً بتلك الألعاب. وإلا لماذا ستكون ألعاب الفيديو مجزية. بحكم التعريف، لكل شخص منفرد يمارسها؟ يبدو أن ممارسة الألعاب يمكنها تحريض افراز ما يكفي من الدوبامين للحفاظ على شعور جيد لدى المستخدم، ولكن ليس بما يكفي لإزالة تحسس المستخدم تماماً لتأثيرها. لكن إغراء الألعاب لا يعمل على المستوى البيوكيميائي التلقائي للدوبامين في الدماغ فقط، بل أيضاً على المستوى المعرفي المتعلق بالعلاقات الاجتماعية. لابد أن الدافع الذي لا يقاوم للعب القمار ينطوي ليس فقط على الحيل الداخلية للدماغ ولكن أيضاً على تفاعل الدماغ في علاقة مستمرة ذات اتجاهين مع الشاشة، تتسم الطبيعة ذاتها لبيئة الشاشة هذه بأهميتها البالغة لاستمرار الفرد في اللعب. تتميز الألعاب بصخبها واحتوائها على مشاهد غنية بصرياً، تماماً مثل فيلم يعتمد على الحركة والإثارة، ولكن ذلك بالإضافة إلى كونها غامرة، إذ إنه لا تقدم مجرد تحفيز حسي قوي فقط بل تدفق أو قدرة اللاعب على نسيان نفسه في عالم اللعبة والانهمك فيها تماماً.⁽⁹⁾

إن ممارسة اللعبة (World of Warcraft) تجعلني أشعر بأنني رباني.. فلدي سيطرة مطلقة، ويمكنني أن أفعل ما أريد مع عدد قليل من التدايعات الحقيقية. أما العالم الحقيقي فيجعلني أشعر بالعجز... حاسوب معطل، أو طفل

(8) سوزان غرينفيلد: تفسير العقل، ترجمة إيهاب عبد الرحيم، عالم المعرفة، الكويت، 2017، ص 186.
(9) المرجع نفسه: ص 187.

يبكي بحرقه، أو بطارية هاتف نقال تنتهي فجأة. تلك العقبات الصغيرة في الحياة اليومية تشعرني بأني منزوع القوة على نحو عميق، هذا ما قاله أستاذ اللغة الإنجليزية ريان فان كيلف (Van Cleave)، وهو يتذكر الوقت الذي كان يمارس فيه ألعاب الفيديو لنحو ستين ساعة أسبوعياً، لاحظ أن ريان لم يذكر حتى أنه استمتع بذلك وأن عقليته تدل على شيء أعمق من ذلك بكثير. كانت لعبة (World of Warcraft) بالنسبة إليه ملجأ من العالم الحقيقي الذي كان يشعر فيه بعدم كفايته.

أما أوليفيا ميتكالف (Metacalf) من الجامعة الوطنية الأسترالية، التي درست سيكولوجية الإفراط في ممارسة الألعاب، فتحدد العلامة الفارقة بأن الجاذبية قد لا تكون نتيجة إيجابية لألعاب الفيديو ذاتها، بل إن الألعاب توفر فرصة الهروب من الحياة الواقعية التي تفتقر إلى أي غرض أو اتجاه.⁽¹⁰⁾

وفقاً لنهج جيبسون البيئي للإدراك، فإن الإدراك عملية مباشرة لالتقاط المعلومات من بيئة غنية بالفعل بالمعلومات. لا ينبغي الخلط بين طبيعة المعلومات التي توفرها البيئة والتحفيز القريب في شكل بيانات معنوية، بل ينبغي النظر إليها على أنها خصائص توجيهية أو تصرفات للأجسام التي تعيش في تلك البيئة. مثل هذه الخصائص هي ما يسميه جيبسون الامتيازات، أي الثوابت المحددة التي يهدف تصورها إلى دعم عمل الكائن الحي. من وجهة نظر جيبسون، فإن الامتيازات خصائص تدمج كلا من الوكيل والبيئة في نظام متجسد، وطبيعة هذه العلاقة المجسدة تستلزم الادعاء بأن إدراك العالم هو الإدراك المشترك لنفسه⁽¹¹⁾.

إن تصور جيبسون للإدراك على أنه يعني ضمناً وجود علاقة حميمة بين الإقناع الخارجي والاستقطاب يهدف إلى التخلص من الآراء المزدوجة التي يُعتقد أن الوكيل يدرك أو يرى العالم خلال المعالجة الذهنية لبيانات الحس الخام التي توفرها أعضاء جسمه. كما اعتاد أن يجادل، لا يرى

¹⁰ المرجع نفسه: ص 187.

⁽¹¹⁾ Rosas, o, p15.

العملاء بيئتهم بالعيون ولكن بنظام مجسد يتكون من «العيون في الرأس والجسد في وضعية الاستعداد على الأرض». يتصور جيبسون هذا النظام المتجسد كوحدة وظيفية لا يمكن اختزالها إلى تجاور للأجزاء التشريحية المنفصلة. بالنسبة لجيبسون، فإن فكرة أن الإدراك هو عمل الأنظمة الإدراكية الوظيفية تستبعد أي تصور يهدف إلى تقسيم التجارب الإدراكية إلى أبعاد ذاتية وموضوعية. من وجهة نظره، من الواضح أن التكامل الإيكولوجي بين العامل والعالم غير قابل للفصل⁽¹²⁾.

جيبسون ليس نسبي. على النقيض من شيريدان، يعمل نظام جيبسون الحركي الإدراكي على خصائص العالم الثابتة الدقيقة للبيئة الفيزيائية. بالنسبة لجيبسون، فإن هذه الخصائص الأساسية للعالم الفيزيائي ليست «مقدرة» أو «مبنية» بأي معنى نسبي للمصطلح. على النقيض من وساطة مانتوفاني وريفا في الثقافة الحيوية، فإن جيبسون يتأثر باستخراج الخصائص الثابتة بوصفه تأثيراً أساسياً للثقافة، إن لم يكن متأثراً تماماً بالثقافة. في الواقع، يقلل جيبسون صراحة من أهمية النسبية الثقافية، ويشك في الإفراط في الادعاءات باسم النسبية الثقافية، كما اقترح في الصفحات الختامية لحجة مانتوفاني وريفا مع شيريدان⁽¹³⁾.

بالإضافة إلى ذلك، يميز جيبسون بوضوح بين الحواس الإدراكية والنظم الإدراكية، ويعزو إلى العمليات المعقدة والوظيفية الأخيرة التي تتجاوز مجرد تسجيل المحفزات. يحتوي الإحساس على مستقبلات فقط بينما يحتوي النظام على أعضاء توجه وتستكشف وتضبط وتصل إلى التوازن عند مستوى معين من الأداء التبعية أو الأعلى. يتم تصور الحواس الإدراكية على أنها آليات صلبة إلى حد ما، تستند إلى ذخيرة من الأحاسيس الفطرية في حين أن إنجازات النظام الإدراكي عرضة للنضوج والتحسين من خلال التعلم⁽¹⁴⁾.

(12) Ibid.p15.

(13)F. Biocca: Inserting the Presence of Mind into a Philosophy of Presence: A Response to Sheridan and Mantovani and Riva. Presence (2001), 10(5): 546-556.p549.

(14)Rosas,o,p16.

نشأ إجماع جيبسون عن ترسيخ الإدراك على التمثيلات من اقتناعه الراسخ بأن التقاط المعلومات ذات الصلة لا يتم تصفيته خلال النماذج والعمليات العقلية للوكيل، وأن الإدراك هو إنجاز للفرد بأكمله، وليس مظهرًا في مسرح وعيه. يتعلق الإدراك بهذا المعنى بـ «البقاء على اتصال» بالبيئة ويوفر مفاهيم الموقف والتجسيد والتضمين بمعنى بيئي كامل⁽¹⁵⁾.

خلال اتخاذ موقف راديكالي ضد التفسيرات العقلية للتصور، يجادل جيبسون بأن مصطلح «التمثيل» مضلل. بالنسبة له، لا يوجد إعادة عرض حرفية (كما هو الحال في الصورة) لمصفوفة بصرية سابقة متصورة في البيئة؛ لا يمكن الحفاظ إلا على بعض الثوابت، ولكن هذا هو كل شيء. استهدف عدم رضاه عن الأساليب الفلسفية والنفسية للتمثيل تصورات التمثيل على أنها «صور في الرأس»، والتي من المفترض أن تربط - بطريقة غامضة إلى حد ما - المحتويات الموضوعية (الحسية) والذاتية (العقلية) للتجربة. غالبًا ما تمت معالجة عيب رئيسي في هذا الرأي، وهو أنه يؤدي إلى حيرة ميتافيزيقية مثل "العين الداخلية" الخفية أو "homunculus" التي تتمثل وظيفتها في التحقق من الاتساق بين الكائن و" الصورة "المقابلة له، وضمان المطابقة المناسبة بين المحتويات التجريبية الموضوعية والذاتية. ومع ذلك، إلى جانب رفضه للروايات التصويرية للتمثيل، فإن موقف جيبسون السلبي تجاه الروايات التمثيلية للإدراك والعمل بشكل عام ليس سوى أحد أعراض شكوكه العميقة حول الوعود التفسيرية للنماذج المعرفية والحسابية للعقل التي دافع عنها عديد من زملائه المعاصرين⁽¹⁶⁾.

1. 2. التماثل بين البيئات الحقيقية و VES
كما هو مذكور أعلاه، فإن الافتراض الشائع للرؤية الإيكولوجية هو أن مركبات VES متماثلة إلى بيئات حقيقية لدرجة أنه يمكن نمذجة ديناميات الإدراك/العمل لأول على الهيكل الإيكولوجي للآخر. ويعني هذا الافتراض

(15) Ibid,p16.

(16)Ibid,p16.

أن (أ) «الإدراك الافتراضي» و «العمل الافتراضي» مرتبطان ارتباطاً وثيقاً من خلال «الإمكانيات الافتراضية»، و (ب) يدرك الوكلاء الذين يتنقلون عبر الإمكانيات الافتراضية بشكل مباشر فرص العمل التي توفرها الأشياء الافتراضية والوكلاء الافتراضيون. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه على الرغم من أن التماثل بين البيئات الحقيقية و VES صحيح هيكلياً ووظيفياً، إلا أنه جزئي. هذا لأنه، حتى الآن، لا يمكن رسم بعض الإمكانيات في العالم الحقيقي على نظيراتها الافتراضية. على سبيل المثال، توفر الفاكهة الافتراضية، على سبيل المثال، «القدرة على الفهم»، والقابلية للتلاعب، و «القدرة على الرمي»، ولكن ليس القدرة على تناول الطعام. وبالمثل، فإن كأس الماء الافتراضي يوفر «إمكانية الوصول» و «القدرة على الكسر»، ولكن ليس «القدرة على الشرب». ومع ذلك، فإن هذه الحالات القصوى من عدم قابلية الإمكانية التكنولوجية للتحويل لا تقوض الافتراض الأساسي للرؤية الإيكولوجية نظراً لأن أساسيات الإدراك والعمل في البيئات الحقيقية يمكن تطبيقها بشكل موثوق على VES⁽¹⁷⁾.

في المراحل الأولى من نظرية النسبية، أدى اسمها إلى انطباع خاطئ بأن هذا النهج في العلم يستند إلى النظرة الفلسفية لـ «النسبية» - فكرة أن كل المعرفة مرتبطة فقط بـ «العارف» - أي أنه لا توجد معرفة موضوعية للحديث عنها. بالطبع، لم يضع أينشتاين هذا الرأي في الاعتبار أبداً - كان نهجه عكس ذلك تماماً، حيث يركز المرء على قانون الطبيعة الثابت (الموضوعي). لتجنب الارتباك، حاول أينشتاين إعادة تسمية نظريته (نظرية الثوابت)، مما يعني تركيز هذه النظرية على المطلق بدلاً من النسبية. ومع ذلك، فقد رفض في النهاية تغيير الاسم بسبب المزيد من الارتباك الذي اعتقد أنه قد ينطوي عليه⁽¹⁸⁾.

(17)Ibid,p16.

(18)J.M. Flach and J.G. Holden: The Reality of Experience: Gibson's Way. Presence (1998), 7(1): 90-95,p.90

يبدأ أي علم ببعض الافتراضات حول الطبيعة الأساسية لـ «الواقع» - سواء أ كان هناك واقع مطلق وموضوعي ومستقل عن المراقب أم ما إذا كانت حقائق الواقع تتعلق فقط بالمراقب. توجه هذه الافتراضات اختياراتنا أو تخميناتنا حول « المقاييس » المناسبين لوصف هذا الواقع. هذا ينطبق على العلوم السلوكية وكذلك العلوم الفيزيائية. تعد مسألة مقياس «الواقع» أيضًا نقطة انطلاق أساسية لنظريات ومقاييس البيئات الافتراضية ما هي المقاييس المناسبة لقياس التجارب في البيئات الافتراضية ومقارنة تلك التجارب بتجارب الواقع ؟ إن الافتراضات الكامنة وراء نهج جيبسون البيئي (1979) توفر أساسًا واعدًا لتأطير أسئلة «الوجود» و «الانغماس» فيما يتعلق بالبيئات الافتراضية⁽¹⁹⁾.

هذه الموثوقية أو الصلاحية البيئية لـ VES تتوقف إلى حد كبير على "الفهم الدقيق للمصممين لطبيعة التكاليف. لكي تكون VE ذات مغزى بالمعنى البيئي، يتعين على المبرمجين ومطوري البرامج تزويد المستخدمين بعلاقات معقولة بين الإجراءات والتأثيرات، بغض النظر عما إذا كان VE مصممًا للعلاجات النفسية أو التعلم التعاوني أو حتى ألعاب الفيديو حيث يمكن للوكلاء الطيران أو الإنعاش أو استنساخ أنفسهم أو التحول إلى مخلوقات أخرى. تمثل هذه العلاقات التزامًا تصميميًا لتوفير حل وسط مرضٍ بين الأحداث الافتراضية والإجراءات المتاحة وتوقعات المستخدمين. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يدرك مصممو VES أن معنى الإجراءات الافتراضية ليس مجرد بناء لعقل المستخدم. يجب توفير معلومات مادية ودلالية وثقافية كافية وقابلة للكشف بوضوح خلال بنية الأشياء نفسها والعوامل التي تسكن مركبة VE معينة من أجل منح المستخدمين إمكانية الاختيار بين أنماط العمل البديلة التي تتميز بدرجات صريحة من الحرية⁽²⁰⁾.

(19)Ibid,p90.

(20)Rosas,o,p17.

يعد المدافعون عن المنظور الإيكولوجي للعقبات الإيكولوجية نهج جيبسون الإيكولوجي في الإدراك كإطار مقنع للتخلص من التمثيلات والتحقق من صحة سرد مباشر ومتجسد للإدراك والعمل في الضمانات الإيكولوجية. وبسبب هذا الزخم البيئي، يزعمون أن النظرة التقليدية غير كافية بسبب فصلها الاصطناعي بين الأبعاد الموضوعية (المعلومات الحسية) والأبعاد الذاتية (المعالجة المعرفية) للتجارب الإدراكية، وبالتالي نقل فكرة تفاعل عامل بطريقة بعيدة وغير متجسدة مع محيطه (الحقيقي و/أو الافتراضي)⁽²¹⁾.

مع ذلك، من الضروري النظر في أنه في ضوء الروايات الوظيفية الأخيرة للإدراك والعمل التي نشأت من المنظورات التطورية والنفسية والفيزيولوجية العصبية، يحتاج نهج جيبسون البيئي إلى بعض التدقيق النقدي من أجل اختبار مبادئه ومفاهيمه الأساسية للدقة النظرية والقوة التفسيرية. من المؤكد أن نتائج هذا التدقيق سيكون لها تأثير على الطريقة التي يتصور بها المنظر البيئي هيكل VES. في الفرع التالي، سيتم تحليل ثلاث حجج تأتي من وجهات النظر المذكورة أعلاه⁽²²⁾.

والأمر أكثر صعوبة بكثير مما قد يبدو للوهلة الأولى لأن البيئة لا تشتمل بالطبع البيئة غير الحية فحسب بل والبيئة الحية أيضاً، فلا يمكن الأمر في مجرد القول إن المناخ الحالي اختلف عن مناخ العصر الإيوسيني، فكل من المفترسين والطفيليات ومصادر الغناء اختلفت بالمثل عما كانوا عليه في ذلك العصر، فقد تكيف الحصان ذو الخمسة حوافر بشكل حسن على نجو ما هو مفترض مع مجموعة أحياء عصر الإيوسيني، بينما تكيف الحصان المعاصر بشكل حسن على نحو ما هو مفترض مع مجموعة أحياء إقليمنا الحالي. وبناء عليه يمنحنا تعقد بيئتهما الخاصة سبباً للتنبؤ والذهاب إلى أنهما لسوف يتكيفان بطريقة مختلفة للغاية، كما أنه سيعاب علينا رؤيتنا لما يجب أن يكون أحدهما أفضل من الآخر بأي شكل

(21)Ibid,p17.

(22)Ibid,p17.

من الأشكال على وجه العموم ، لا يمكن توقع حدوث تحسن كلي شامل يمتد إلى التغيير البيئي والتكيف بمجرد تعاقب البيئات، ففي الحقيقة ما دام التحسن يتصل ببيئة ما (حياة أو غير حياة) فإنه ليس من الواضح أن لفكرة التحسن أي معنى غير علائقي. فما البيئة التي يتصل بها التحسن؟ يريد المتشككون معرفة الإجابة عن ذلك السؤال: فإذا لم تكن هناك إجابة واضحة عن ذلك السؤال، فلسوف تنهار فكرة التقدم على نحو ما يبدو.

(23)

بالطبع إذا كانت البيئات ثابتة، أو إذا كانت تتقلب في بعض السبل ذات قيم ثابتة معروفة، فحينئذ يمكن أن يكون للتحسن معنى - كما يمكن أن يتخيل المرء حينذاك زيادة تكيف الكائن الحي مع تلك البيئة الثابتة بمرور الزمن - ويعزف الانتخاب الطبيعي في تلك الحالة مقطوعاته التكيفية الرفيعة، بحيث يمكنك القول إن الكائنات الحية التالية تتكيف مع تلك البيئة بشكل أفضل من الكائنات الحية السابقة. ولكن هل يعد ثبات البيئة أمراً مقبولاً؟ نعم يصبح مقبولاً عندما يدرك المرء أن الثبات أمر نسبي مرتبط ببعض المقاييس المكانية والزمانية، فإن البيئات قد تتغير محلياً أو بمقاييس زمنية قصيرة. بينما تبقى ثابتة تقريباً بمقاييس زمنية طويلة. فإن المناخ يبرد ويدفئ والقارات تتجرف هنا وهناك. والتنوع يرتفع ينخفض، والمفترسون والمتنافسون والطفيليات تأتي وتذهب. فحسب مقياس زمني ما، ربما يكون متوسط قيم كل ما سبق وكل المتغيرات ذات الصلة ثابتاً إلى حد ما. ليصبح التغيير البيئي بالنسبة لجميع المقاييس الزمنية الطويلة وبالنسبة للمتغيرات وبالنسبة لمعظم الكائنات الحية مجرد تقلب ذي قيمة ثابتة. ولا يعنى ذلك القول إنه من الممكن وبمقدار ما المقارنة بين ملاءمة الأسلاف وملاءمة الأحفاد بشكل مفهوم، أو توقع أن الكائنات الحية التالية ستصبح أكثر ملاءمة في المتوسط.

(24)

(أليكس روزنبرج وآخرون: فلسفة البيولوجيا، ترجمة مينا سیتی يوسف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018، ص 229.

(المرجع نفسه: ص 229.

2. ثلاث حجج للحاجة إلى التمثيل

قدمت الأبحاث التطورية والنفسية والفيزيولوجية العصبية الحديثة حول الإدراك نماذج مثيرة للاهتمام لفهم الإدراك والعمل بطرق تمثيلية دقيقة. تهدف هذه النماذج في معظمها إلى التعبير عن وجهات نظر سابقة، وإلى حد ما، متنافسة حول الإدراك/العمل في إطار نظري يسمح بالتفسيرات المعرفية والمتجسدة للتفاعلات بين العوامل وبيئتها. هنا، سنفحص بإيجاز ثلاث حجج لصالح التمثيلات العقلية التي قدمتها هذه النماذج⁽²⁵⁾.

2. 1. أطروحة التعقيد البيئي

خلال تبني نظرة تكيفية وعملية حول تطور الإدراك، جادل جودفري سميث بأن تعقيد البيئة يدفع بالحاجة إلى عوامل لتطوير موارد وقدرات معرفية معقدة. تم تكثيف ادعائه الأساسي في أطروحة التعقيد البيئي: «وظيفة الإدراك هي تمكين العامل من التعامل مع التعقيد البيئي». تنطوي هذه الأطروحة على نتيجتين طبيعيتين مترابطتين سببياً فيما يتعلق بالعلاقات بين العامل والبيئة: أ كلما كانت البيئة أكثر تعقيداً، كان من الضروري أن يكون لدينا مجموعة أكثر تعقيداً من السلوكيات للتعامل مع هذه البيئة، و ب كلما كانت هذه المجموعة من السلوكيات أكثر تعقيداً، كانت القدرات الإدراكية والتمثيل العقلي المطلوبة أكثر تعقيداً⁽²⁶⁾.

في هذه اللحظة - حيث لم تعد البيئات الافتراضية مجرد أشياء تقنية ولكنها بدأت في الظهور كأدوات اجتماعية واعدة للتواصل والتعاون - نراها ككائنات حدودية يمكن الوصول إليها عبر طرق مختلفة واستخدامها من قبل مجتمعات مختلفة. "الأشياء الحدودية.. وإقامة روابط تنسيق فيما بين المجتمعات المحلية، ودفعها، عن قصد أو عن غير قصد، إلى التفاوض. الأشياء الحدودية هي أشياء تهم كل مجتمع معني ولكنها تنظر إليها أو

(25)Rosas,o,p17.

(26) Ibid.p17

تستخدمها بشكل مختلف من قبل كل منها. يمكن أن تكون هذه أشياء مادية أو تقنيات مشتركة بين المجتمعات. خلالهم، يمكن للمجتمع أن يفهم ما هو شائع وما هو متميز عن مجتمع آخر، ورفاقه، ونظراته للعالم. لا تساعد الأشياء الحدودية فقط في توضيح مواقف المجتمعات الأخرى، بل يمكنها أيضًا جعل الافتراضات المسبقة للمجتمع لنفسها، مما يشجع على الانعكاس و «تعلم الحلقة الثانية»⁽²⁷⁾.

يتفهم جودفري سميث التعقيد البيئي من حيث «عدم التجانس». هذا يعني أن البيئات يمكن أن تكون متنوعة ومتغيرة وتوفر للوكيل فرصًا لمواجهة كثير من الحالات المختلفة. ومع ذلك، فإن مفهوم عدم التجانس الكامن وراء التعقيد البيئي ليس شرطًا لكل شيء أو لا شيء: يمكن لأي بيئة أن تكون غير متجانسة في بعض النواحي، ومتجانسة في جوانب أخرى. يمكن تقييم تعقيد بيئة معينة في حالات مختلفة في أوقات مختلفة، بدلاً من الحالة نفسها طوال الوقت. تمثل الولايات المختلفة التغيرات في البيئة، والتغيرات التي ترقى إلى حد كبير إلى ما يشير إليه جيبسون بالأحداث البيئية: التعديلات أو التحولات في الأجسام والأسطح والتخطيط البيئي التي تفرض قيودًا على الأنشطة الإدراكية والوظيفية للكائن الحي. بالإضافة إلى ذلك، يعد جودفري سميث أن خصائص التعقيد للبيئات تعد موضوعية، خصائص مستقلة عن الوكيل والتي لن يكون سوى عدد قليل منها ذا صلة بأي عامل معين. سواءً كان نوع معين من التعقيد مهمًا أم وثيق الصلة بالعامل، فسيعتمد على شكل العامل: على علم وظائف الأعضاء، والوقف المعرفي، والاحتياجات، والعادات⁽²⁸⁾.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الحالة الموضوعية لخصائص التعقيد وكذلك ملاءمتها للعامل النسبي تعني أنه بالنسبة للعوامل لتتبع خصائص التعقيد والتعامل معها، فإنها تحتاج أيضًا إلى تطوير نوع من التعقيد، أي

(27)G. Mantovani and G. Riva: Building a Bridge between Different Scientific Communities: On Sheridan's Eclectic Ontology of Presence.

Presence (2001), 10(5): 537-543,p543.

(28)Rosas,o,p18.

المرونة المعرفية. يُنظر إلى المرونة المعرفية على أنها استجابة الوكيل التكيفية للظروف الصعبة لبيئاتهم، ونوع من التكيف الناتج عن التطور لتمكين العوامل من إدراك ما تستمر فيه الثوابت البيئية، وما الذي تغير أو خرج من الوجود، من أجل تنظيم سلوكياتهم واغتنام «الفرص» البيئية بطرق ناجحة. تعني المرونة المعرفية أيضًا أن الوكلاء يمتلكون ويطورون بنى تمثيلية معقدة يمكن تحسينها باستمرار نظرًا لإمكانية العامل للتعلم. تتشارك هذه النقطة الأخيرة مع فكرة جيبسون عن النظام الإدراكي في فكرة أن الإدراك عملية مفتوحة للتحسين نظرًا لقابلية الأنظمة الإدراكية للنضج والتعلم⁽²⁹⁾.

2. 2. تطور التمثيلات المنفصلة

في روح تكيفية مشابهة لروح جودفري سميث، قدم ستيرلني تفسيرًا تطوريًا لعواقب البيئات المعلوماتية المختلفة على تطور الأنظمة المعرفية. نقطة إنطلاقه الأساسية لتطوير ادعاءاته هو أن الكائنات الحية لديها آليات تتوسط في استجابات تكيفية محددة لميزات بيئتها خلال تسجيل إشارات بيئية محددة تخبرهم بوجود تلك الميزات. ومع ذلك، على الرغم من أن إشارات السمات الغنية غير الرسمية للبيئة يمكن إدراكها بدقة من قبل الكائن الحي، فقد لا يكون هذا هو الحال دائمًا⁽³⁰⁾.

يشير ستيرلني إلى أن الوكلاء الذين يعيشون في بيئات معقدة ومتغيرة يمكنهم تطوير أنظمة تتبع قوية. على عكس أنظمة الكشف البسيطة، يظهر التتبع القوي كاستجابة تكيفية مرنة للبنية المعلوماتية لبيئة معينة. عند النظر إليها من منظور إعلامي، يمكن أن تكون البيئات من ثلاثة أنواع: شفافة أو شفافة جزئيًا أو مبهمه. البيئات الشفافة مستقرة لدرجة أنها تسمح بالاستجابات التكيفية باستخدام إشارات محددة موثوقة. ومع ذلك، إذا كانت الميزات البيئية ذات الصلة لخريطة البيئة بطرق معقدة على الإشارات التي يمكن للعامل

(29) Ibid,p18.

(30)Ibid,p18.

اكتشافها، فإن هذا العامل يعيش في بيئة شفافة. من أجل التعامل بشكل تكيفي مع بيئة شفافة، يتعين على العامل تطوير طرق مرنة وظيفيًا لإدراك السمات البارزة التي تمكنه من التمييز بين فئة وظيفية (مثل الغذاء والمأوى والأزواج وما إلى ذلك) عبر قنوات إدراكية متعددة (مثل الرؤية والرائحة والاختبارات وما إلى ذلك). أخيرًا، إذا أصبحت البيئة غير مستقرة لدرجة أنه حتى المرونة الوظيفية في تتبع الميزات البارزة لا بد أن تختل، فإن الوكيل يعيش في بيئة غير شفافة بشكل غير رسمي. من المؤكد أن البيئات عادة ما تكون غير متجانسة من حيث أنها شفافة فيما يتعلق ببعض السمات، وشفافة جزئيًا فيما يتعلق بالآخرين وحتى غير شفافة فيما يتعلق بالآخرين. في روح بيئية واضحة، يدعي ستيرلني أن الطابع المعرفي للبيئة هو نتيجة تكيف الكائنات الحية مع ظروفها المادية، وضبط قنواتها الإدراكية لالتقاط المعلومات التي يوفرها العالم مجانًا⁽³¹⁾.

الأدوات في بيئة ما توفر لمراقبيها فائدة وتعمل مباشرة خلال خصائص كائنات محددة (مثل الوسائط والأسطح والمواد). تسعى البيئات الافتراضية (VES) بالمثل إلى توفير فائدة محددة لمستخدميها، سواء أكان ذلك للتدريب أم التعليم أم الترفيه، وبالتالي يبدو من الطبيعي التفكير في إنشاء تصميمات VE على الإمكانيات. يجب أن يحقق هذا التصميم القائم على التكلفة فوائد كبيرة خلال توفير التصميمات التي تتصرف بأخلاق أكثر فهمًا وبديهة. يجب أن تكون هذه التصميمات أسهل في التعلم، والتكيف بشكل أفضل مع مهام المستخدم، وإحباط المستخدمين بشكل أقل خلال السماح باستخدام المهارات المكتسبة نفسها خلال تفاعلات العالم الحقيقي. من أجل تحقيق تصميمات VE القائمة على التكلفة، يجب تحديد أنواع التكاليف المناسبة ووسائل تحقيق هذه التكاليف.

(31)Ibid.p18.

ومع ذلك، تفتقر التكاليف في الوقت الحالي إلى أساس نظري وتشغيلي لهذا التطبيق⁽³²⁾.
لتقديم شرح لكيفية كيف العوامل وتطورها في البيئات المعقدة، افترض ستيرلني تطور التمثيلات المنفصلة. ووفقاً له، فإن التمثيلات المنفصلة هي «حالات إدراكية داخلية تعمل على (أ) تتبع سمات البيئة، و (ب) لا تقتصر بإحكام وظيفياً بأنواع محددة من الاستجابة». وبالتالي، يتم تصور التمثيلات المنفصلة على أنها «وقود للنجاح» لأنها تشكل قاعدة بيانات معلومات مرنة تمكن الوكيل من تنفيذ أنشطة إدراكية وأمنية دون ربطها بسلوكيات محددة. علاوة على ذلك، تتطور التمثيلات المنفصلة جنباً إلى جنب مع اتساع الاستجابة، مما يعني أن الفصل مسألة درجة، وتتطور من المرونة المتزايدة في استخدام وكلاء المعلومات⁽³³⁾.

2. 3. نظرية ترميز الحدث

الادعاء الأساسي لنظرية ترميز الأحداث (TEC) الذي قدمه هوميل وآخرون، هو التصور، والاهتمام، والنية، وحصّة العمل، أو العمل على مجال تمثيلي مشترك. تعتمد هذه النظرية على وجهات النظر المعرفية والبيئية للإدراك والعمل، وتحاول التعبير نظرياً وتجريبياً عن المبادئ المركزية لكل وجهة نظر⁽³⁴⁾.

على عكس معظم النظريات التي تفترض انقساماً وظيفياً بين الرموز الإدراكية ورموز العمل، تنفي TEC أن إدراك المحفز والتخطيط للعمل التطوعي هما عمليتان متميزتان تعملان على رموز مختلفة تماماً. بالنسبة لهوميل وآخرين، فإن الإدراك والعمل متساويان بقدر ما هما طرق بديلة لتمثيل التفاعلات داخلياً بين الأحداث الإيكولوجية والإدراك/العامل. يمكن تقطير عديد من المطالبات من TEC. أولاً، يُنظر إلى الإدراك على أنه عملية للحصول بنشاط على معلومات حول العلاقة بين الإدراك والبيئة، وهي عملية تنطوي على تخصيص الموارد المعرفية (على

(32)D.C. Gross, K.M. Stanney and J. Cohn: Evoking Affordances in Virtual Environments via Sensory-Stimuli Substitution. Presence (2005),

14(4): 482-491,p482.

(33)Rosas,o,p18.

(34)Ibid.p19.

سبيل المثال، الانتباه والذاكرة) للسمات البارزة للبيئة. ثانيًا، عملية الإدراك تفترض وتوفير سلوكًا نشطًا، والعمل بدوره يوفر معلومات إدراكية. ثالثًا، بقدر ما يمكن اعتبار الإجراءات البيئية آخذة في الظهور خلال توقع آثارها البعيدة، يتم ترميز الأحداث المتصورة وما يترتب عليها من تكاليف وتخزينها معًا في مجال تمثيلي واحد مشترك. رابعًا، ينبع التكافؤ الوظيفي بين الرموز الإدراكية ورموز العمل من حقيقة أن كلا النوعين من الرموز يشير إلى الأحداث الخارجية: يتم بالفعل تنشيط الرموز التي تمثل ميزات الفعل المقصود في سياق إدراك الحافز، وبالتالي فإن العلاقة الديناميكية للإدراك/الفعل تكمن وراء الإدراك/الفعل⁽³⁵⁾.

علاوة على ذلك، فإن افتراضات TEC التي تتميز برموز - أي الرموز التي تمثل السمات البعيدة للحدث - ليست خاصة بمحفز أو استجابة معينة، ولكنها تسجل معلومات من أنظمة حسية مختلفة وتعديل أنظمة حركية مختلفة. في نقطة إنطلاق مشابهة لتطور التمثيلات المنفصلة التي قدمها ستيرلني، تعتبر TEC أن السمات البارزة للبيئة يمكن إدراكها خلال أكثر من طريقة حسية وأن الترميز الشائع للإدراك/العمل هو الذي يدمج هذه المعلومات. ومن المثير للاهتمام أن TEC تدعي أيضًا أن رموز ميزة الأبعاد لا تشير دائمًا إلى خصائص مثل اللون أو الشكل، ولكن يمكن أيضًا أن تكون معقدة مثل «قابلية الأكل» أو «الإمساك» أو «الجلوس» بالمعنى الجيبسوني⁽³⁶⁾.

على الرغم من أنه تم تصويره بشكل أساسي كنموذج معرفي للإدراك والعمل ينطبق على البيانات السلوكية، إلا أن TEC تجد أيضًا دعمًا في الأدلة التشريحية العصبية والفيزيولوجية العصبية الحديثة لوحداث الدماغ المشتركة خلال الإدراك وتخطيط العمل. على سبيل المثال، قدم اكتشاف الخلايا العصبية المرآة دعمًا للتداخل الوظيفي للرموز الإدراكية والمتعلقة بالعمل. تفريغ

(35)Ibid,p19.

(36)Ibid,p19.

الخلايا العصبية المرآتية أثناء أداء الإجراءات الموجهة نحو الهدف وإدراك الإجراءات التي يقوم بها الآخرون. تم التعرف على هذه الخلايا العصبية في القشرة الجدارية البطنية والخلفية للقرود، ووثق عدد من دراسات التصوير العصبي الوظيفي مع البشر التوظيف الانتقائي للمناطق القشرية المتماثلة التي تنفذ تمثيلات الإدراك/الفعل في القشرة البدائية والجدارية البشرية⁽³⁷⁾.

مجتمعة، تحدث هذه الحجج الثلاث لصالح وجهة نظر تمثيلية للإدراك والعمل (وبالتالي للعقل) والتي تتوافق بشكل علني مع المبادئ المركزية لوجهة نظر جيبسون البيئية. سيخصص القسم التالي لكل من توضيح التمثيل مع النظرة الإيكولوجية للتصور/العمل واستهداف الآثار ذات الصلة لهذا التعبير بالنسبة للرؤية الإيكولوجية للتكنولوجيات الإيكولوجية⁽³⁸⁾.

3. إعادة تعريف الهيكل الإيكولوجي/التمثيلي لـ VES تذكر أن الافتراض الأساسي للرؤية البيئية لـ VES يهدف إلى دعم الادعاء بأن الوكلاء يمكنهم الانخراط في تصورات وتفاعلات هادفة داخل VES بالطريقة نفسها التي يفعلون بها في البيئات الحقيقية. بالنسبة للمدافعين عن هذا الرأي، أثبت مفهوم جيبسون الإيكولوجي للإدراك أنه وسيلة نظرية مناسبة لرسم تصور حقيقي والعمل على التجارب الافتراضية وشرح مزايا هذا الرأي لتصميم وتنفيذ الضمانات الافتراضية. في هذا الرأي، يقال إن الوكلاء يتنقلون خلال VES خلال إشراك أنظمتهم الإدراكية وقدراتهم الوراثة بطريقة مباشرة، دون أن يكونوا ملزمين بالاعتماد على التمثيلات العقلية للأشياء الافتراضية و/أو العوامل الافتراضية⁽³⁹⁾.

مع ذلك، كما رأينا في الجزء السابق، فإن القصة حول بيئة الإدراك/العمل دون تمثيل بعيدة كل البعد عن أن تكون غير مثيرة للجدل. النقطة المهمة ليست أن النظرة الإيكولوجية للمضادات الضارة معيبة أو خاطئة بشكل

(37)Ibid.p20.

(38)Ibid.p20.

(39)Ibid.p20.

أساسي ؛ بل إن مصدره المشترك وافتراضاته الأساسية بحاجة إلى بعض التحسين المفاهيمي والمنهجي. توفر لنا الحجج المقدمة أعلاه أسبابًا مقنعة لإجراء مثل هذا الضبط الدقيق، وتشير إلى أن النظرة البيئية للإدراك والعمل متوافقة مع وجهة النظر التمثيلية للعقل، بشرط أن يتم فهم مفهوم التمثيل بالمعنى الوظيفي، «الصور في الرأس»⁽⁴⁰⁾.

لنبدأ بالإشارة إلى أن التمثيلات يمكن جعلها تدخل في وجهة النظر البيئية للإدراك/العمل على المستوى الوظيفي كأساس للمخطط المعرفي للفرد للعامل. يتوافق مثل هذا المخطط مع مجموعة من القدرات التمثيلية المتطورة، اعتمادًا على الموقف المعرفي للعامل والسماح له بإدراك بيئته والتعامل معها بشكل تكميلي من حيث المصفوفات الهادفة للثوابت الإدراكية. إن التصور التكميلي لهذه المصفوفات يعني أن الإمكانات لها بعد تمثيلي راسخ في الطابع المعياري الجوهرى لفرص العمل (الانتظام المادي للبيئة أو القواعد الاجتماعية للمجموعة). بالإضافة إلى ذلك، فإن مخطط الفردية هذا لا يُنظر إليه على أنه نموذج مفاهيمي بحث ليتم ختمه على العالم، ولكنه بالأحرى كآلية نشطة لتجميع المدونات الإدراكية والمتعلقة بالعمل لتمكين الوكيل من أن يكون على دراية بحالته في البيئة والفرص التي توفرها الأشياء والعوامل الأخرى. بعيدًا عن كونها مجرد استراتيجية اختزالية، فإن حقيقة أن الأدلة المعرفية والتشريحية العصبية تقدم دعمًا لظهور وعمليات مخطط الفردية هذا تعطينا حجة موثوقة للدفاع عن وجهة نظر بيئية/تمثيلية للإدراك والعمل، حيث يؤدي كل من موضوع التمثيل ونشاط دماغه المجسد أدوارًا حاسمة في التقاط الثوابت والحصول على تجارب إدراكية ذات مغزى⁽⁴¹⁾.

الآن، فيما يتعلق بالرؤية البيئية لـ VES، فإن هذا الضبط الدقيق لمصدره المشترك له تداعيات أساسية على

(40)Ibid,p20.

(41)Ibid,p20.

الافتراض المشترك. أولاً، إلى الحد الذي لم يتطور فيه البشر بشكل طبيعي في البيئات الافتراضية المستنسخة تقنيًا، من المعقول أن نتوقع أن يستفيدوا من قدراتهم التمثيلية الطبيعية على إدراك والتصرف في VES. ثانيًا، بصرف النظر عن كونها تمثيلية على المستوى الوظيفي (نظرًا لأنها تعاني من توظيف القدرات المعرفية)، فإن VES هي أيضًا تمثيلية على المستوى المعرفي، أي كمقدمي تمثيلات المعرفة⁽⁴²⁾.

تزود VES الوكلاء بثلاثة أنواع من التمثيلات المعرفية: القياسية والاقتراحية والإجرائية. تحافظ التمثيلات المشابهة على خصائص الأشياء والأحداث بطريقة جوهرية وتحافظ على نفس القيود الكامنة فيها. وبهذا المعنى، فإن أيقونة على شاشة الكمبيوتر، أو متاهة في لعبة فيديو، أو فاكهة افتراضية، أو حتى صورة رمزية، كلها تمثيلات مماثلة. وهي عبارة عن استنساخ أنطولوجي أو محاكاة لأشياء وأحداث حقيقية، وهي مصممة للحفاظ وظيفيًا على السمات المادية وفرص العمل للأخير. تحافظ التمثيلات المقترحة على هيكل الأشياء والأحداث بشكل خارجي. عند التنقل عبر VE معين، توفر المؤشرات اللغوية مثل «أدخل هنا» أو «الأعضاء فقط» أو «اسم المستخدم» أو «كلمة المرور» للمستخدمين معلومات ذات صلة بتنفيذ أنماط محددة من العمل. هنا يتم ترميز الأشياء والأحداث من الناحية الخارجية واللغوية لتوفير مشاركة إدراكية ونشطة واضحة. وأخيرًا، فإن التمثيلات الإجرائية توفر للمستخدمين قواعد محددة لإنجاز إجراءات معينة في VE. يمكن أن تتخذ هذه التمثيلات شكل مجموعة من التعليمات للتسجيل في موقع ويب معين، أو لإتقان حركات الصورة الرمزية، أو لإيجاد طريقة للخروج من المتاهة الافتراضية⁽⁴³⁾.

من الواضح أن الفهم المناسب لهذه القضايا التمثيلية أمر بالغ الأهمية لتصميم وتنفيذ VES بشكل هادف. بالنسبة للطريقة التي يتم بها إحضار المستويات

(42)Ibid,p21.

(43)Ibid,p21.

الوظيفية والمعرفية للتمثيل داخل VE معين يحدد هيكله المعرفي بالكامل. يعتمد الاختلاف الأساسي بين الإعدادات الحقيقية والافتراضية على الابتذال الذي يستحق التذكير: VES هي عوالم تم إعادة إنتاجها بشكل مصطنع والتي يكون هيكلها المعرفي والمتعلق بالتكلفة بالكامل مسألة نوايا وأهداف المصممين. وبهذا المعنى، فإن الأمر متروك لمطوري VE للاستفادة من الفهم البيئي/التمثيلي للإدراك والعمل من أجل إدراك أن تصميمهم للعوالم الافتراضية يمكن أن يكون شفافاً أو شفافاً جزئياً أو غير شفاف مثل نظرائهم الحقيقيين⁽⁴⁴⁾.

عموماً، لقد رأينا أنه على الرغم من ادعاءات وجهة النظر البيئية لـ VES، فإن السرد التمثيلي للإدراك والعمل، سواء في بيئات حقيقية أو افتراضية، يتوافق مع مفهوم بيئي متجسد مثل ذلك الذي دافع عنه جيبسون. يكمن هذا التوافق في حقيقة أن سرعة جيبسون، وليس أي تفسير تمثيلي للإدراك، يعني بالضرورة تصويراً للتمثيل أو نظرة مزدوجة للتجارب الإدراكية. أثبتت الحجج من الدراسات التطورية والمعرفية والتشريحية العصبية أنها مفيدة لتوضيح نموذج وظيفي تمثيلي للإدراك والعمل، ولتفضيل تفسير بيئي/تمثيلي لبنية VES، دون الحاجة إلى خيانة وجهة النظر البيئية، وبالتأكيد ذات القيمة النظرية، للإدراك المتجسد. أسفرت تفسيرات الإدراك والتعقيد البيئي، والتمثيلات المنفصلة، والترميز الشائع للإدراك والعمل، عن أسباب مقنعة للقول بأن العمليات الإدراكية والوظيفية يمكن أن تكون بيئية وتمثيلية⁽⁴⁵⁾.

قد استُكشفت الآثار المترتبة على ذلك بالنسبة لتصميم التكنولوجيات المتاحة. يوضح التحليل البيئي/التمثيلي لـ VES المقدم هنا أنه من أجل الاستخدام الهادف لـ VES، يعتمد المستخدمون على هباتهم المعرفية والتمثيلية الطبيعية لتتبع المراسلات الهيكلية والوظيفية بدقة بين العالمين الحقيقي والافتراضي. تم

(44)Ibid,p21.

(45)Ibid,p22.

القول بأن هذه النقطة مفيدة لمصممي VE، لأن فهمهم
لكيفية إدراك الإمكانات والميزات المهمة والمشاركة
فيها هو الذي سيجعل VE شفافًا أو شفافًا جزئيًا أو
مبهمًا⁽⁴⁶⁾.

1- الواقع الافتراضي والوجهة

يبدو أن هناك اختلافًا في طريقة تفاعلنا مع الواقع
الذي شهدناه أثناء لعب ألعاب الكمبيوتر. إن إحدى أهم
الميزات التي تميز العالم الخارجي (أو الواقع
المفتوح) عن الواقع الذي تم تجربته أثناء لعب ألعاب
الكمبيوتر (أو الواقع المغلق) هي درجة التعقيد، أي
ثراء المحفزات وعدد الخيارات المتاحة. تتمثل إحدى
العواقب الرئيسة لانخفاض التعقيد للواقع المغلق في أن
ممارسة ألعاب الكمبيوتر تؤدي إلى تغييرات معرفية
مختلفة بطريقة تلقائية وسهلة. السؤال الذي يتم طرحه
هو ما الذي يتغير حقًا في معالجتنا المعرفية عندما
نلعب ألعاب الكمبيوتر. أحد الإجابات هو أن هناك
تغييرًا في التمثيل المعرفي للوكيل للواقع. بالإضافة
إلى ذلك، يبدو أن هناك تغييرًا في الذات المعرفية
أثناء لعب ألعاب الكمبيوتر الرمزية. سنناقش النقطة
الأخيرة في السياق القصير لمشكلة الهوية والآثار
النفسية المحتملة⁽⁴⁷⁾.

هذا الجزء يركز بشكل أساسي على مشكلة التغييرات
المعرفية لدى الشخص الذي يلعب ألعاب الكمبيوتر.
بينما تشير كلمة «وكيل» إلى كائن يكون الشخص عادة في
حياته اليومية (تمثيل الشخص في الواقع الخارجي)،
تشير كلمة «أفاتار» إلى وجود شخص ما في عالم ألعاب
الكمبيوتر (تمثيل الشخص في الواقع الافتراضي). بينما
يوجد دائمًا وكيل واحد فقط، يمكن أن يكون لهذا الوكيل
عديد من الصور الرمزية المختلفة⁽⁴⁸⁾.

(46)Ibid.p22.

(47)Piwek, Lukasz. (2008). The Dynamic Representation of Reality and of Ourselves between Real and Virtual Worlds.In Briggles, A.,
Waelbers, K., & Brey, P. A. E. (Eds.) Current issues in computing and philosophy. IOS Press,p24.

(48)Ibid.p24.

نناقش نظرية الواقع المفتوح والمغلق جنبًا إلى جنب مع فكرة التمثيل المعرفي المفتوح والمغلق. نشير أيضًا إلى النتائج النفسية المتعلقة بالتغيرات في إدراك الوكيل أثناء لعب ألعاب الكمبيوتر. في الجزء الأخير، نصف نظرية الذات المعرفية في سياق ألعاب الكمبيوتر الرمزية.

ألعاب الكمبيوتر هي جميع ألعاب الفيديو وألعاب الهاتف المحمول وأي أشكال أخرى من الألعاب بناءً على تعتمد على أنها الواقع الافتراضي النشط (Active VR). الواقع الافتراضي النشط هو بيئة افتراضية محددة حيث يكون للعامل أهداف ومهام وأهداف مميزة (مثل World of Warcraft، The Sims). الواقع الافتراضي السلبي (Passive Virtual Reality) هو بيئة افتراضية محددة حيث لا يكون للعامل أهداف ومهام وأهداف مميزة (على سبيل المثال، g. Google Earth أو تصفح الإنترنت بشكل عام). نركز فقط على الواقع الافتراضي النشط في هذا الجزء⁽⁴⁹⁾.

4. 1. «الخريطة التي تصور الواقع مجرد صورة للواقع الفعلي»

"اليوم لم يعد التجريد هو الخريطة أو المرآة أو المفهوم. لم تعد المحاكاة هي منطقة أو كائن مرجعي أو مادة. إنه جيل بنماذج حقيقية بلا أصل أو واقع: مفرط الواقع. لم تعد المنطقة تسبق الخريطة ولا تنجو منها. ومع ذلك، فإن الخريطة التي تسبق المنطقة - سابقة للمحاكاة - هي التي تولد المنطقة، وإذا كان يجب على المرء العودة إلى الحكاية، فهي اليوم المنطقة التي تتعفن أشلاؤها ببطء عبر مدى الخريطة. إنها الخريطة الحقيقية، وليست الخريطة، التي لا تزال بقاياها قائمة هنا وهناك في صحاري الواقع نفسه"⁽⁵⁰⁾.

يهدف مطورو ألعاب الكمبيوتر إلى توفير تجارب مسلية بشكل متزايد خلال مضاعفة الواجهات وزيادة تعقيد وجدوى الألعاب (على سبيل المثال، g. الجيل الجديد من

(49)Ibid,p24.

(50)Ibid,p25.

معالجات الجرافيك أو أنظمة الصوت المحيطي ثلاثية الأبعاد Dolby أو وحدة التحكم في الحركة Nintendo Wii. في الوقت نفسه، يحاولون إيجاد طريقة لتعزيز التفاعل وربط اللعبة بمستوى أعمق من تجربة الوكيل. يبدو أن الإنترنت تقنية مجانية تساعد على تحقيق تفاعل اجتماعي أعلى وبالتالي تزيد من التفاعل. من المحتمل أن يكون الهدف النهائي هو خلق واقع افتراضي يمكن أن يتمتع فيه الوكيل بتجربة حسية كاملة. وهذه الحقيقة ستكون موازية لواقعنا بالمعنى الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي. سيكون هذا الخلق مشابهاً لتلك التي وصفها ويليام جيبسون أو نيل ستيفنسون في رواياتهم. وفي هذا السياق، لن يكون هناك تمييز بين عالم خارجي وعالم افتراضي. يبدو أنه في المرحلة الحالية من تطور التكنولوجيا البشرية لا يزال الطريق طويلاً لتحقيق هذا الهدف⁽⁵¹⁾.

الانترنت واحد من أبرز الأشياء التي صنعها البشر طوال حياتهم. وفيما يتعلق بتأثيره في المجتمع فإنه يقف في صف واحد مع الطباعة، والطرق الحديدية، والتلغراف، والسيارة، والطاقة الكهربائية، والتلفزيون، وربما يساوي بعض الناس بينه وبين الطباعة والتلفزيون، وهما الوسيلتان التكنولوجيتان السابقتان اللتان غيرتا بيئة الاتصالات التي يعيش فيها البشر. إلا أنه من المحتمل أن يكون أكثر تأثيراً من كليهما لأنه يسيطر على السمو الذهني التي أعطته الطباعة الإنسانية دون أن تزعجها الطبيعة التي يوجهها واحد إلى كثيرين وهي السمة التي تميز التلفزيون⁽⁵²⁾.

وفي حالة التغيرات التي أحدثتها الانترنت على المدى الطويل في الدماغ وفي السلوك المترتب عليه، نحن نواجه وضعاً معقداً، وهو وضع غير خاضع لاختيار ذي نتيجة قاطعة أو لتجربة منفردة تعطي نتيجة غير ملتبسة، أي نوع من الأدلة قد يأمل المرء في الحصول عليه، خلال فترة معقولة من الزمن، والذي يمكنه أن يثبت بصورة

(51)Ibid.p25.

(52) ديفيد كريستال: اللغة والانترنت، ترجمة أحمد شفيق الخطيب، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2005، ص 47.

ترضي الجميع أن ثقافة الشاشة تحدث تحولات المدى في
ظواهر واسعة النطاق والتنوع مثل التعاطف ونفاذ
البصيرة ، والفهم ، والهوية ، والمخاطرة؟ ما النتيجة
المنفردة والمنفصلة التي تلزم لإقناع من يقاومون
احتمالية أن يكون هناك شيء خطأ في نهاية المطاف، أو
على الأقل أننا نفقد بعض الفرص؟⁽⁵³⁾

إن مفاهيم مثل تغير العقل هي وفقاً لمصطلحات كون،
نماذج (paradigms) وليست فرضيات منفردة ومحددة يمكن
اختبارها تجريبياً في ظل تجارب مقيدة ومحددة للغاية،
يعمل مفهوم شامل مثل تغير العقل، كما سنرى لاحقاً على
تجميع الخيوط من الاتجاهات المجتمعة الظاهرة وآراء
الخبراء المهنيين، فضلاً عن مجموعة واسعة من النتائج
العملية المباشرة وغير المباشرة من مختلف التخصصات،
خضعت الأغلبية العظمى من الدراسات العلمية لمراجعة
الأقران، فهذه العملية تضمن أنها أظهرت نتائج ذات
دلالة إحصائية وهو ما يعنى أنها ليست أحكاماً شخصية،
بل نتائج نظام موحد وراسخ للاختبار⁽⁵⁴⁾.

بغض النظر عن الأنواع المختلفة من الأدلة التي تدعم
ذلك، فمما لا شك فيه أن مفهوم تغير العقل بوصفه
نموذجاً جديداً قد أثار ادعاءات بترويج الإشاعات
المقلقة وإحداث ضرب من الهلع الأخلاقي، ولكن ضع في
اعتبارك أن ترويج الإشاعات المقلقة يعتمد على فكرة
عدم وجود أي شيء مطلقاً يمكن الخوف منه في المقام
الأول، هل نعلم في الحقيقة أن هذه هي الحال؟ ومع ذلك،
فإذا ومتى أثبتت صحة الهلع بما لا يقبل الجدل، فإن
الخوف يتحول إلى خطر مؤكد. وبالتالي، لابد أن التنبؤ
الأصلي ربما كان في الواقع شيئاً مختلفاً تماماً، مثل
مكالمة للإيقاظ. وينبغي أن يكون الرفض على أساس
التخويف، على كل حال، استنتاجاً نهائياً وليس مناورة
افتتاحية.⁽⁵⁵⁾

سوزان غرينفيلد، ص48، (53)

المرجع نفسه: ص48، (54)

(المرجع نفسه: ص 48-49، (55)

أما بالنسبة إلى الهلع الأخلاقي، فمن المحتمل أن يجرى تفسير أي انتقاد للعالم الواقعي من قبل الهواة المتحمسين للفضاء الإلكتروني على أنه اعتداء على الحياة الشخصية، وبالتالي عليهم كأفراد في نهاية المطاف، ولكن أليست هناك حاجة إلى الهلع في الوقت الراهن، والواقع أننا إذا أتحنا لأنفسنا الفرصة لتقييم أين نحن الآن وإلى أين نود التوجه في القرن الحادي والعشرين، يمكننا أن نستنبط ما يحتاج إلى أن يبدو عليه أسلوب حياتنا ومجتمعنا من أجل الوصول بنا إلى هناك، لكننا من أجل القيام بذلك نحتاج أولاً إلى فك القضايا الشديدة التباين التي يشملها تغير العقل.
(56)

إن التمثيلات التي انبثقت عن الرقمي يمكن فهمها جزئياً خلال تحليل بعض مكوناتها الأساسية، أي الشبكة العنكبوتية أو ببساطة الإنترنت. فهذه الأخيرة تمرر في الواقع التصور المرتكز على الخطابات الأكثر تجانساً. وهذا التصور يأخذ أبعاداً خيالية، وحتى أسطورية، ولن يكون في الواقع بغير أثر: إنه يسهم - ويتعين التأكيد على هذا - في التصور وفي استعمالات الشبكة العنكبوتية التي نحن بصدها حالياً⁽⁵⁷⁾.

لقد رأت شبكة الإنترنت النور في الولايات المتحدة، والكل يعرف هذا، وذلك بالتقاء عالَمين مختلفين، عالم البحث العلمي - العسكري من جهة وعالم مضاد لثقافة الحاسوب الشخصي من جهة ثانية، إنه مجتمع البحث العلمي الأكثر تقييداً المكون من باحثين في الإعلاميات (المهوسون بالإنترنت). فهذا المجتمع هو الذي ابتكر بعد الحرب العالمية الثانية أول الحواسيب، وفي الوقت نفسه نظرة العالم الجديدة المرتكزة على الشفافية المفترضة للتواصل وآثارها الإيجابية حول العملية الديمقراطية لمجتمعنا. لقد استطاع هؤلاء المهندسون الإعلاميون بعد ذلك أن يجعلوا من الابتكار قيمة عليا تحرز مزايا التعاون والتقاسيم (كل واحد يعرض اكتشافه

(المرجع نفسه: ص 49. 56)

ريمي ريفيل: الثورة الرقمية، ثورة ثقافية، ترجمة سعيد بلمبخوت، علم المعرفة، الكويت، 2018، ص 29. (57)

لأقرانه)، مع التركيز على التنسيق فيما بينهم، وبذلك اعتمد عديد من الباحثين طوال الأعوام من 1970 إلى 1980 موضوع الذكاء والابتكار، بفضل استغلال الشبكة وثقافة التبادل⁽⁵⁸⁾.

لكن تتعين الإشارة هنا إلى ظاهرة الهيبين ومعارضى ثقافة كاليفورنيا الذين نشروا نظرة متطرفة ومجددة للإعلاميات، بوضع مشروع تقني بديل سرعان ما أدى ممارسات اجتماعية جديدة، وانطلاقاً من رفض مبدأ الإعلام المركزي والخدماتى الذى يشمل أموراً منها الجهة المنطق الاقتصادى للشركات الكبرى، أكثر اتساعاً فى تحديد كل ما وعاء تضعه بين يدي الجميع، فإن فى مقدوره ليس والقاعدة البرمجية العديدة غير المرئية، لكن أيضاً الشركات الجديدة، وبما الإشارة إليه هي أساس تشجيع مجتمع افتراضى، وفق تعبير هوارد غينجولد والاس (Hawrard Rheis)، فخطابات تلك المرحلة تصبو إلى إنشاء عالم تقوم فيه العلاقات بين الأشخاص على أساس المساواة والتعاون. وتكون المعلومة متوافرة فى الحال، وبالمجان وعلى الفور، ومن ثم تكون الهندسة المركزية للإنترنت والبث الواسع للتطبيقات المتعددة قد وضعت قواعد الشبكات المعرفية للتواصل المسماة أفقية للابتكار المتزايد والتنظيم الذاتى⁽⁵⁹⁾.

ففى اعتقاد هؤلاء الرواد يتعين على الإنترنت أن توفر خلق مجتمع أكثر حرية وتفتحاً، وتكون المعرفة متاحة لأكبر عدد ممكن، وأن تكون الأشكال التشاركية هي الأصل، بحيث الأفراد اختراق الحواجز المؤسسية والتنظيمية بفضل ربط شبكى موسع. كما أنهم يشكون فى الهرم السياسى، ويأملون فى العيش بطريقة ديمقراطية. الأهم من ذلك أنه حينما تتوقف أمام وجهة نظر فلسفية، بطبيعة الحال فإن الإنترنت تعكس وجه الشبكات، لكن بالأخص الديناميات الفكرية التى تنطوي عليها والتى تعكس سهولة الاستعمال. وذلك مع تعدد التعقيدات الإجرائية الكامنة، إن انخراطنا فى الممارسات الشبكية

المرجع نفسه: ص 30.(58)

المرجع نفسه: ص 30.(59)

يرتكز، وفق الفيلسوف بول ماثياس (Paul Mathias) على أربعة أشكال من حيث تصور الإنترنت والتي ينبغي منذ الآن الوعي بها⁽⁶⁰⁾.

هناك أولاً فكرة الخدمة، التي تتوقف عند التفكير في الشبكات من حيث الاستعمالات وبالأخص المزايا. بحيث إن تلك المزايا الاقتصادية (ستفتح الأبواب للازدهار الاقتصادي)، والمزايا الثقافية (ستضاعف أشكال المعرفة والمعلومات) والمزايا السياسية (ستمكن من تعميم الديمقراطية)، والعلاقة النفعية التي سنقيمها مع الإنترنت تكون شاهداً على إرادة التصرف (تساعد على تطوير القدرات)، وأن تكون بشكل ما عملية (تمكن من زيادة طاقتنا لاكتساب المعرفة والمعلومات)⁽⁶¹⁾.

ثم هناك الاحتجاب (Postulant d'immersion) بحيث إن الرقمي والافتراضي لا يختزل فقط في جهاز آلي، بل يشكل أيضاً هيئة معيشية، حيث تكون في الواقع مغمورين، ومهاجمين بصفة مستمرة، فالإعلام اليوم هو الحقيقة (وليس في الواقع أو أمام الواقع)، في حدود كوننا غالب الأحيان غير قادرين على البقاء بعيداً عن الشبكات، حيث يكون أولئك الذين يحتاجون ممارساتنا الخاصة والمهنية، يخبرون كرهاً أفكارنا وقيمنا بمجرد عملية البحث والتحميل والمناقشة والتبادل من بعد⁽⁶²⁾.

الفكرة الثالثة هي في علاقة ما ذكره بول ماثياس (Paul Mathias) حول مفهوم اختلال (conception disfonctionnaliste) الإنترنت، لأنه في الاستعمال حيث تأتي لحظة استعادة الكلمة المصادرة، التي سرعان ما تعطي، سرعة ما تستعاد وتسترجع بشكل لا نهائي في الجهاز نفسه، الذي أصبح الحائز الرئيس للواقع والحقيقة، فطلباتنا بخصوص الويب تخضع لمنظومة حسابية لا نعرفها بأي شكل من الأشكال، كما لا نفهم الإجراءات الأتوماتيكية المتبعة، المهم هو الشعور بالرضي في

المرجع نفسه: ص 30. (60)

المرجع نفسه: ص 30. (61)

المرجع نفسه: ص 31. (62)

الواقع خلال نتائج أبحاثنا. فالآلات تملئ علينا من دون أن ننتبه للأمر قوانين اللعبة⁽⁶³⁾.
حول الفكرة الرابعة هناك بعد جوهري آخر للإنترنت، ويتعلق الأمر بتجربة المعرفة التي تعد أصلية وغير مسبقة، وبمجرد النقر باستمرار على النصوص والصور ستستمر في تطوير الويب بالبحث عن الكلمات - المفتاحية لتنفيذ عديد من الطلبات، وبذلك تسهم في تصنيفها آلياً وفق مقارنة سيمائية أو نحوية - فالتصنيف السيميائي يجعل الانترنت تقوم منذ تلك اللحظة بإعادة التنظيم المستمر لمحتوياتها الذاتية في الواقع. فإن الآثار الرقمية لذلك التيه هي سبب بعض تلك الآثار التي تنتج عن تشابك عمليات عشوائية وضد عشوائية (contre-aleatoire) وبعبارة أخرى وقوع شيء ما في هذه الحالات، غير السابقة لوجود الطلبات التي تستكملها بمعنى تحقيقها، وبذلك تتوغل عبر الانترنت في عمليات لا نتقنها، تهجين بواسطتها نوجد اليوم رقمياً، لذا يتعين علينا إذن القيام بمحاولة تحديدها وتقييمها⁽⁶⁴⁾.

4. 2. واجهة بينية مباشرة وغير مباشرة
ما الفرق بين التجربة المعرفية لهذا العالم والعالم الافتراضي لوكيل؟ هل التمثيل المعرفي لهذا العالم مختلف عن تمثيل العالم الافتراضي؟ بمعنى ما، هو نفسه. يختبر الوكيل المشاعر من الأفلام لأنه يختبر المشاعر التي تثيرها ألعاب الكمبيوتر. ومع ذلك، حتى مع الأخذ في الاعتبار أعلاه، لا تزال اللعبة محاكاة (حتى لو كانت «تغطي المنطقة بأكملها»). يمكن للوكيل (على الأقل معظمهم) التمييز بين لعب التنس مع Nintendo Wii في ملعب عالمي افتراضي (حتى باستخدام وحدة التحكم في الحركة) ولعب التنس في ملعب عالمي خارجي. هناك اختلافات إدراكية بسيطة، أحاسيس تختلف بين هاتين الواقعتين. لا يزال هناك كثير من الخبرة الحسية المتاحة في العالم الخارجي مقارنة بالعالم الافتراضي.

المرجع نفسه: ص 31.(63)

المرجع نفسه: ص 31.(64)

ويرجع ذلك أساساً إلى حقيقة أن الوكيل لا يزال يواجه الواقع الافتراضي عبر الواجهة غير المباشرة والعالم الخارجي عبر الواجهة المباشرة⁽⁶⁵⁾.

عندما يلعب الوكيل ألعاب الكمبيوتر، حتى باستخدام الأجهزة الأكثر تطوراً، فإنه لا يزال يقتصر على الواجهة غير المباشرة. واجهة غير مباشرة - وهي لوحة مفاتيح أو فأرة أو لوحة أو عصا تحكم وشاشة كمبيوتر أو شاشة محمول أو فيديو - مما يسمح للوكيل بالتفاعل مع بيئة ألعاب الكمبيوتر بشكل غير مباشر. حتى الأنظمة المتاحة غير التجارية مثل نظارات الواقع الافتراضي (VR)، لا تزال غير موثوقة ومحدودة مقارنة بالرؤية البيولوجية. لذلك سيكون لدى الوكيل جميع التجارب الحسية مع الواقع الافتراضي عبر واجهة غير مباشرة - فهو ليس على دراية مباشرة بها. في المقابل، في العالم الخارجي يمكن الوصول إليه بشكل أو بآخر عبر واجهة مباشرة. المرشح الوحيد الذي يمتلكه الوكيل في تجربة عالم خارجي هو دماغه وجهازه العصبي. في تجربة عالم افتراضي، هناك مرشح آخر، وهو جهاز واجهة⁽⁶⁶⁾.

ينبغي عدم الخلط بين الواجهة المباشرة/غير المباشرة والواقعية المباشرة/غير المباشرة. لا تشير الواجهة المباشرة/غير المباشرة إلا إلى مشكلة الاختلاف في الوصول إلى واقع خارجي/افتراضي بينما تشير الواقعية المباشرة/غير المباشرة إلى التصور العالمي للواقع. لا يمكن للوكيل تجربة الأشياء الافتراضية مباشرة عبر الحواس (الواجهة المباشرة) - على الأقل في هذه المرحلة من التطور التكنولوجي. لذلك، عندما يقود وكيل سيارة BMW في Second Life virtual في فلوريدا، حتى باستخدام رؤية غير عادية ونظام صوت مع عجلة اصطناعية يمكنها إجراء اهتزازات، سيظل يختبر سيارته BMW عبر واجهة غير مباشرة. لن يوفر التجربة الحسية نفسها مثل قيادة سيارة BMW حقيقية عبر ساحل فلوريدا الحقيقي⁽⁶⁷⁾.

(65) Rosas,o,p25.

(66) Ibid,p26.

(67)Ibid,p26.

5. التغييرات الديناميكية في تمثيل الواقع

5. 1. درجة التعقيد وقاعدة البساطة

يمكن للوكيل أن يتصرف في حقيقتين - حقيقة مفتوحة ومغلقة. الواقع المفتوح (OR) هو عالم خارجي. الواقع المغلق (CR) هو عالم افتراضي يختبره الوكيل أثناء لعب ألعاب الكمبيوتر. ما يميز OR عن CR هو درجة من التعقيد. تُعرّف درجة التعقيد بأنها ثراء المحفزات وعدد الإجراءات - الخيارات المتاحة. يبدو أن درجة التعقيد للواقع المغلق أقل من الواقع المفتوح لأن (1) الواقع المغلق يوفر تحفيزًا حسيًا أقل احتمالًا بشكل عام من الواقع المفتوح، و (2) الواقع المغلق محدود أكثر في عدد خيارات العمل. يمكن للوكيل الوصول إلى الواقع المغلق فقط عبر واجهة غير مباشرة. يوفر الواقع المغلق بيئة أقل تعقيدًا وتحفيزًا أقل احتمالًا من الواقع المفتوح. لذلك، فإن المعنى المعرفي الأساسي هو أن الواقع المغلق أسهل بكثير في التنظيم الإدراكي - إنه أبسط من الواقع المفتوح⁽⁶⁸⁾.

"يجد الجهاز المعرفي أنماطًا في البيانات التي يتلقاها. ينطوي الإدراك على إيجاد أنماط في العالم الخارجي، من الناتج الحسي".

هناك عديد من خطوط الأدلة في علم النفس العصبي المعرفي التي تدعم الادعاء بأن البشر يميلون إلى تفضيل البساطة ويمكنهم عادةً معالجتها بشكل أسرع من النظام الأكثر تعقيدًا. عادة ما يكون اكتشاف العناصر ذات الوصف الأبسط أسهل في الضوضاء. بالإضافة إلى ذلك، فإن المجموعة الواسعة من الظواهر في التنظيم الإدراكي، بما في ذلك قوانين إغلاق الجشطالت، تدعم أيضًا نظرية البساطة. يميل العامل تلقائيًا إلى إكمال وإنهاء المهام في أي نظام محدد للواقع ويفضل النظم الأقل تعقيدًا. الواقع المغلق هو مثل هذا النظام -

(68)Ibid.p26.

حقيقة هي في حد ذاتها مهمة يجب إغلاقها، ولها أهداف وغايات وأنماط نشاط محددة مسبقاً⁽⁶⁹⁾.
تم تصميم الهياكل في الواقع المغلق لتكون مترابطة وبسيطة قدر الإمكان لتعزيز منحى التعلم لوكيل يتفاعل معها. يبحث الوكيل عن بيئة يمكنه التحكم فيها بنقرة ماوس وعدد قليل من أزرار لوحة المفاتيح. يتم اختزال وجود وكيل في الواقع المغلق إلى «اختصارات» - فهو محدود ومبسط ومهيكل جيداً (حتى بمعنى سهولة الوصول والرسومات الأيقونية وعناصر الواجهة التي يسهل تذكرها). تجلب الواجهة المحدودة الراحة والسهولة في إتقانها وبعد وقت قصير تصبح بديهية وتلقائية دون عناء. أخيراً، فإن بساطة رمز التحفيز تحدد كمية الهيكل المكتشف في هذا التحفيز. كلما ازداد الهيكل الذي يمكن للناس العثور عليه في المحفز، وجدوا أنه أسهل في المعالجة والتذكر وكلما بدا لهم أقل عشوائية⁽⁷⁰⁾.

5. 2. التمثيل المعرفي المفتوح والمغلق
تعد فكرة التمثيل المعرفي قديماً ضامرة خلال الإدراك والذاكرة واللغة، ولكن مع ظهور النظريات المعرفية، التي أكدت أن العقل البشري عبارة عن نظام عام لمعالجة المعلومات بالرموز، وأظهرت أوجه الشبه بين الكمبيوتر والإنسان في معالجة المعلومات، مما دفعت التمثيل المعرفي إلى المركز والمقدمة، وجعلت التمثيل المعرفي أساسياً ومهم جداً لنموذج معالجة المعلومات ويتعلق التمثيل بالعناصر النظرية والعلميات التي تعمل عليها ميكانيكية معالجة المعلومات⁽⁷¹⁾.

لا بد للتمثيلات المعرفية التي يجريها العقل البشري لا بد لها أن تتوافق مع نوع من التمثيلات المتعارف عليها، فالمعلومات والمثيرات التي تعبر السجلات الحسية تجهز وتخزن في شكل تمثيلات عقلية معرفية رمزية، حيث يقوم الفرد بعمل تمثيلات عقلية معرفية

(69)Ibid.p27.

(70)Ibid.p27.

⁷¹(Lachman, R, Lachman, J, L, & Butterfield, E, C,: Cognitive Psychology and Information Processing” an Introduction, Psychology Press, 2015, p, 120.

لأشياء معينة ويتم تذكرها باللفظ وأخرى بالحس، وسواء
أكان التمثيل لفظياً أم حسياً فكلاهما يثير الخلايا
العصبية بطرق متباينة تقوم على إنشاء وتكوين مكافئات
معرفية ورمزية. (72)

يختبر الوكيل تغيرات معرفية مختلفة للتعامل مع
التغيرات المستمرة في الواقع على أساس يومي. على
سبيل المثال، هناك عادة بعض المزاج العام وأنماط
الأفكار المتعلقة بفئات دلالية مختلفة، وحالات مختلفة
من الوعي والاهتمام. لذلك، فإن الوكيل لديه معايير
معرفية مختلفة في لحظات مختلفة من عمله اليومي. يتم
تأطير إدراكه ضمن التمثيل المعرفي للواقع الذي يمر
به في أي لحظة (73).

يمكن تعريف التمثيل المعرفي على أنه وصف عالمي حسي
إدراكي لواقع يضبط النظام المعرفي مع تعقيد واقع
معين. التمثيل المعرفي هو عملية ديناميكية وعالمية
وعقلية مرتبطة وظيفياً بالأعضاء الحسية والإدراك
الذاتي. هناك حالتان محتملتان من التمثيل المعرفي،
مفتوحة ومغلقة، مفتوحة في واقع مفتوح ومغلقة في واقع
مغلق. عندما يتصل أحد الوكلاء بالواقع المغلق، يتبادل
تمثيله المعرفي من واقع مفتوح إلى واقع مغلق، مما
يتسبب في عدد من التغييرات العالمية في إدراكه (74).

في تعريفه السابق، يرى ميخائيل جيكسنت ميهاي
Csikszentmihalyi التدفق على أنه «تحويل في طريقة
التجربة» عندما «ينغمس الناس في نشاطهم». كما يشير
هوفمان في دراسته حول مسكن الواقع الافتراضي:

«تم ربط الاهتمام البشري بتسليط الضوء، مما يسمح لنا
باختيار بعض المعلومات لمعالجة وتجاهل كل شيء آخر،
لأن هناك حدًا لعدد مصادر المعلومات التي يمكننا
التعامل معها في وقت واحد» (75).

(72) (Andrson J: cognitive psychology and it's implicatain . N.y. 1995- P.122)

(73) Rosas,o,p27.

(74)Rosas,o,p27.

(75)Ibid.p28.

يقترح هوفمان أن الاهتمام بتسليط الضوء يزداد مع زيادة التفاعل وثراء البيئة الافتراضية. أظهر كيف يمكن للمرضى الذين يعانون من حروق شديدة في الجسم أن يصرفوا أنفسهم بشكل أكثر كفاءة عن الألم عند ممارسة ألعاب الكمبيوتر، وأن هذا التخفيف يتحسن مع زيادة تعقيد الواجهة والبيئة. استخدم بيئة افتراضية العالم الجليدي SnowWorld (حيث يعاني الوكيل من وهم الطيران عبر واد جليدي مع نهر متجمد وشلال، حيث تنجرف رقاقات الثلج لأسفل، ويمكنهم إطلاق كرات الثلج على رجل الثلج والأكواخ والروبوتات وطيور البطريق) لتعزيز تأثير الإلهاء من ألم الحروق⁽⁷⁶⁾.

التأثيرات التي وصفها هوفمان تتوافق مع نتائج تشو وتينغ على حالة التدفق. يقترح هوفمان أن الانتباه إلى الأضواء هو عامل رئيسي يسبب التأثير التالي للإلهاء عن الألم ويشير إلى أن التأثير كان أقوى للمرضى الذين يستخدمون النظارات المجسمة مقارنة بأولئك الذين يلعبون ألعاب الكمبيوتر على الشاشة. بالإضافة إلى ذلك، يعد الاهتمام بالتأكيد عاملاً مهماً، في فكرة جيكسنت ميهاي للتدفق، لكن الواقع المغلق الذي تم تجربته على الشاشة المسطحة يمكن أن يكون منغمساً مثل الواقع المغلق الذي تم تجربته عبر النظارات المجسمة. في العالم الجليدي SnowWorld، لا يمتلك الوكيل أي صورة رمزية مميزة - فالعميل هو مجرد «نفسه» يطير حول العالم المتجمد. يمكن أن يحدث فرقاً إذا زادت درجة تعقيد العالم الجليدي خلال ميزات مثل وجود صورة رمزية، مع تطوير المهارات، وتحقيق السعي، وتفاعلات الذكاء الاصطناعي المتطورة، واستكشاف مناطق جديدة وخيار متعدد اللاعبين. عادةً ما يبلغ الوكلاء عن مثل هذه العوامل على أنها مهمة في تحسين تجربة الألعاب الخاصة بهم، إلى جانب الرسومات الواقعية عالية الجودة والصوت. بالإضافة إلى ذلك، عندما يتم توسيع تعقيد الواقع المغلق خلال وجود صورة رمزية مميزة، فقد

(76)Ibid.p28.

يتسبب ذلك في تغيير مؤقت في الذات المعرفية للوكيل⁽⁷⁷⁾.

من المهم ملاحظة أن زيادة التعقيد تحدث في إطار الواقع المغلق الذي يحده ثراء المحفزات وعدد من خيارات العمل المتاحة مقارنة بالواقع المفتوح. لذلك، فإن زيادة التعقيد داخل الواقع المغلق لا تتعارض مع قواعد البساطة. لا تزال البساطة سارية لأن درجة أعلى من التعقيد في الواقع المغلق لا تزال غير كبيرة بما يكفي «لفتح» هذا الواقع بالمعنى الإدراكي والمعرفي⁽⁷⁸⁾.

5. 3. العلاقة بين الوكيل والأفاتار

إن فكرة التمثيل المعرفي قديماً ضامرة خلال الإدراك والذاكرة واللغة، ولكن مع ظهور النظريات المعرفية، التي أكدت أن العقل البشري عبارة عن نظام عام لمعالجة المعلومات بالرموز، وأظهرت أوجه الشبه بين الكمبيوتر والإنسان في معالجة المعلومات، مما دفعت التمثيل المعرفي إلى المركز والمقدمة، وجعلت التمثيل المعرفي أساسي ومهم جداً لنموذج معالجة المعلومات ويتعلق التمثيل بالعناصر النظرية والعلميات التي تعمل عليها ميكانيكية معالجة المعلومات⁽⁷⁹⁾.

فالتمثيلات المعرفية التي يجريها العقل البشري لا بد لها أن تتوافق مع نوع من التمثيلات المتعارف عليها، فالمعلومات والمثيرات التي تعبر السجلات الحسية تجهز وتخزن في شكل تمثيلات عقلية معرفية رمزية، حيث يقوم الفرد بعمل تمثيلات عقلية معرفية لأشياء معينة ويتم تذكرها باللفظ وأخرى بالحس، وسواء أكان التمثيل لفظياً أم حسياً فكلاهما يثير الخلايا العصبية بطرق متباينة تقوم على إنشاء وتكوين مكافئات معرفية ورمزية.

إن التمثيل المعرفي هو تحويل دلالات ومعاني الصياغات الرمزية للمعلومات أو المدخلات المعرفية (كلمات -

(77)Ibid.p28.

(78)Ibid.p28.

⁷⁹(Lachman, R, Lachman, J, L, & Butterfield, E, C,: Cognitive Psychology and Information Processing” an Introduction, Psychology Press, 2015, p, 120.

رموز - مفاهيم - وحدات معرفية) والصيغات الشكلية (أشكال - رسوم - صور - أنماط) إلى معاني وأفكار، وتصورات ذهنية وخطط أو أبنية أو استراتيجيات معرفية، ويتم استدخالها واستيعابها وتسكينها لتصبح جزء من البناء المعرفي في الدائم للفرد وأدواته المعرفية في التفاعل المستمر مع العالم من حوله⁽⁸⁰⁾.

هناك ألعاب أساسية وبسيطة للغاية، مثل Pacman أو Space Invader يمكن أن تسبب بالتأكيد بعض التغييرات المؤقتة في إدراك الوكيل. مثل هذه الألعاب هي حقائق مغلقة أساسية للغاية، مع توفر عدد قليل فقط من خيارات العمل. في الألعاب الحديثة عبر الإنترنت مثل Second Life أو World of Warcraft، يكون التعقيد أعلى بكثير، لذلك من المحتمل أن يكون هناك المزيد من الطرق التي تؤثر بها هذه الألعاب على إدراك الوكيل. أحد العناصر التي يبدو أنها حاسمة من المنظور النفسي والفلسفي هو وجود صورة رمزية في اللعبة⁽⁸¹⁾.

يدعي ويلبرز وسبنس أن الصورة الرمزية للوكيل هي «صدى لأنفسهم الحقيقية». كما يشددون على أنه انعكاس محسن للهوية الحقيقية للوكيل. من المؤكد أن الصورة الرمزية هي تمثيل ؛ يمكن للعامل أن يتخيل بوضوح ويؤثر على الخصائص أو المهارات المختلفة أو العناصر أو الصلاحيات العشوائية. ومع ذلك، فمن المشكوك فيه أن يكون هناك تشابه مباشر بين الوكيل ورمزه الرمزي. الصورة الرمزية ليست مجرد محاكاة. إذا قام الوكيل بإنشاء سبع صور رمزية في خمس ألعاب مختلفة، فمن المحتمل أن تكون مختلفة تمامًا عن بعضها البعض. سيكون ذلك ببساطة نتيجة لميكانيكا اللعبة المختلفة (أن الوكيل لديه خيارات مختلفة لإنشاء الصورة الرمزية في Second Life مقارنة بعالم Warcraft). بالإضافة إلى ذلك، هناك مشكلات نفسية مرتبطة بالطريقة التي تعكس بها الصورة الرمزية عاملاً ما، ومن المحتمل أن تتنبأ متغيرات مثل مستوى العصبية أو نوع الشخصية بنوع

(80)Ibid.

(81)Rosas,o,p29.

الصور الرمزية التي يصنعها العامل. أخيرًا، لدى الوكلاء المختلفين أسباب مختلفة لدخول الواقع المغلق، تختلف من وقت الفراغ والإلهاء إلى أغراض اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أكثر تعقيدًا. ومع ذلك، فإن الوكيل الذي يصنع صورة رمزية لا يزال يتفاعل معها. يمثل الأفاتار تصرفات الوكيل في الواقع المغلق حيث يعاني من تغيرات معرفية مختلفة. الاقتراح هو أن التفاعل بين الوكيل والصورة الرمزية له تأثير على التمثيل الديناميكي للذات المعرفية للوكيل⁽⁸²⁾.

5. 4. الذات المعرفية

تُعرّف الذات هنا على أنها «شيء عقلي، مميز من الناحية الواقعية وهو موضوع خبرة وله شخصية معينة». الذات المعرفية هي تمثيل معرفي للذات التي يرتبط بها الوكيل في أي لحظة.

عندما يندمج الوكيل في الواقع المغلق ويتكيف مع التمثيل المعرفي المغلق، فيمكننا أن نفترض أنه سيكون هناك أيضًا تمثيل مغلق معرفيًا للذات. مثل هذا الاختلاف يمكن أن يفسر سبب تعرض العامل للتغيرات المعرفية على الفور وبشكل غير استدلالي أثناء ممارسة ألعاب الكمبيوتر (على سبيل المثال، التغيرات في الانتباه والتحفيز والأهداف والاستراتيجيات والشعور بالسيطرة). على سبيل المثال، تتطلب كتابة مقال عددًا من الأنشطة المختلفة في طريقة تحقيق نسخة نهائية ويتطلب كل نشاط من هذه الأنشطة عمليات معرفية مختلفة. بالتأكيد، يمكن أن يواجه الوكيل حالة من التدفق أثناء الكتابة. ومع ذلك، هناك عدد كبير من العمليات التي تحدث في وقت واحد في الواقع المفتوح، وهذا يمكن أن يسبب ببساطة إلهاء⁽⁸³⁾.

هذه هي الطريقة التي تحدث بها «التأخيرات المعرفية» مثل التسويف وإلهاء الانتباه، وهذه تمنع حدوث حالة التدفق على الفور. في المقابل، من الصعب تخيل وكيل «يماطل» أثناء ممارسة ألعاب الكمبيوتر أو يششت

(82) Ibid,p29.

(83)Ibid,p29.

انتباهه أثناء هذا النشاط. ومن المفارقات أن الواقع المغلق هو إلهاء نهائي بحد ذاته (كما اقترح هوفمان)، وبالتالي فإن التمثيل المعرفي المغلق للوكيل لا يمكن أن «ينفتح» فقط تجاه أي «مماطلة» داخل نشاط في الواقع المغلق. عند ممارسة ألعاب الكمبيوتر، يبدو أنه من السهل في النهاية أن تفقد نفسك في هذا النشاط. هذه الميزة هي أيضًا مفتاح تجربة تشبه التدفق.

لذلك، فإن التغيير بين التمثيل المعرفي المغلق والمفتوح هو عملية ديناميكية تؤثر أيضًا على الذات المعرفية. وقد ظهر ذلك في عديد من التجارب والنظريات النفسية. تشمل الأمثلة مشكلة التناقض الذاتي لجينيفر إس. هيجينز Higgins، ونظرية بوميستر Baumeister للهروب الذاتي ونظرية ماركوس Marcus عن الذات المحتملة، والتي تظهر أن تمثيلنا الذاتي مسؤول للغاية وعرضة للمراجعة المتكررة. عديد من الأمثلة من علم النفس الاجتماعي تدعم أيضًا هذا الرأي (على سبيل المثال. أثر المارة، المطابقة، الطاعة العمياء) ⁽⁸⁴⁾. عموماً، يعمل الوكيل الذي يلعب ألعاب الكمبيوتر بين واقعين - واقع مفتوح (عالم خارجي) وواقع مغلق (عالم افتراضي). الوكيل يصل فقط إلى الواقع المغلق عبر واجهة غير مباشرة (على سبيل المثال، لوحة مفاتيح وفأرة، وشاشة LCD، ومكبرات صوت، وما إلى ذلك). الواقع المغلق له تعقيد أقل من الواقع المفتوح. عندما يدخل أحد الوكلاء الواقع المغلق، يتغير تمثيله المعرفي من تمثيل مفتوح إلى تمثيل مغلق. هذا يؤدي إلى عدد من التغيرات المعرفية القابلة للقياس، (على سبيل المثال حالة التدفق). جانب آخر هو تأثير الصورة الرمزية على وكيل في ألعاب الكمبيوتر الرمزية. يؤدي التفاعل بين الوكيل ورمزه الرمزي في الواقع المغلق إلى تغيير مؤقت في الذات المعرفية. هذا هو السبب في أن جميع التغييرات المعرفية تحدث على الفور وبشكل غير استدلالي بعد دخول الوكيل إلى الواقع المغلق. لا

(84)Ibid.p29.

يعلم الوكيل أنه منغمس في النشاط ولا يدرك أيضًا هذا التغيير المؤقت في تمثيل نفسه المعرفية⁽⁸⁵⁾.

هناك عديد من نظريات الوظائف الخاصة بالوعي. كيف تترابط هذه النظريات مع بعضها البعض، وكيف يجب علينا تقييمها، وما إذا كان بإمكاننا دمجها معًا، كلها قضايا لا تزال غير واضحة. للمساهمة في حل هذه المسألة، أقدم في هذا البحث إطار مفاهيمي لتوضيح نظريات وظائف الوعي. يتألف هذا الإطار من ثلاثة أبعاد: (أ) الهدف، (ب) الترتيب التوضيحي، و (ج) الضرورة / الكفاية. البعد الأول، الهدف، يوضح كل نظرية فيما يتعلق بنوع الوعي الذي يستهدفه. البعد الثاني، الترتيب التوضيحي، يوضح كل نظرية فيما يتعلق بكيفية تصورها للعلاقة التوضيحية بين الوعي والوظيفة. البعد الثالث، الضرورة / الكفاية، يوضح كل نظرية فيما يتعلق بالعلاقة الضرورية / الكافية المفترضة بين الوعي والوظيفة. نبرهن على فائدة هذا الإطار عن طريق تطبيقه على بعض النظريات العلمية والفلسفية الحالية حول وظائف الوعي⁽⁸⁶⁾.

ضمن وظيفة الوعي اهتمام نظريات الوعي العديدة الحديثة والفلسفية. واحد من الأسباب وراء ذلك هو أنه من المشترك في فلسفة العقل وعلم الإدراك استكشاف مكانة العقل في العالم المادي من خلال التفكير في وظائفه. وفقًا لهذه التفاسير ، يمكننا شرح الأساس المادي لحالة وعي عن طريق تحديد دورها الوظيفي في الاقتصاد الإدراكي ثم تحديد الآلية الفيزيائية التي تطبقها.

بالإضافة إلى ذلك ، غالبًا ما يتم استخدام افتراضات حول وظائف الوعي، إما بصراحة أو ضمناً ، في مناقشات حول توزيع وتطور الوعي. عندما ننظر في الأنواع الحيوانية التي لديها وعي ، تتأثر استنتاجاتنا بشدة بالنظر إلى ما إذا كانت مجهزة ببعض الوظائف الإدراكية

(85)Ibid.p30.

(86)Niikawa, T., Miyahara, K., Hamada, H. T., & Nishida, S. (2022). Functions of consciousness: conceptual clarification. Neuroscience of Consciousness, 2022(1), niac006.p4.

المعينة. يشير ذلك إلى أن تحديد وظائف الوعي سيكون خطوة حاسمة نحو تحديد مدى انتشار الوعي في عالم الحيوان وفهم متى ولماذا تطور. حتى الآن ، ومع ذلك ، لا يوجد اتفاق قائم على وظائف الوعي.

إن حياتنا الواعية هي ذلك البحر الذي نسبح فيه، ولذلك فإننا لا نندهش عندما نعرف أن الوعي من الأمور التي يصعب فهمها⁽⁸⁷⁾.

عرف فرويد الوعي عام 1900 بأنه واحدًا من ثلاثة أنظمة تعليمية تسمى: الوعي، الأولى، واللاوعي، فالوعي: هو تلك العمليات العقلية التي يدركها الشخص بالفعل (مثل الجملة التي قرأتها لو أنك منتبها. أما الوعي الأولى تلك العمليات العقلية الباطنة والتي قد تأتي لمركز الوعي إذا ما اشتدت الحاجة إليها (مثل رائحة الطهي أو اسم مدينة لا يوجد في العقل في هذه اللحظة). أما اللاوعي فهو تلك الأشياء التي يصعب إدراكها بالوعي كأن تقول إنها مضخوطة.

ولقد ربط فرويد بين عملية الكبح "القمع والرقيب الذي يقصى الذكريات البغيضة عن الوعي تماما مثل الحكومة التي تعمل على قمع الأفكار والأمانى التي قد تهددها، وبالمثل فإن العقل يعمل على قمع تلك الذكريات التي قد تهدده إذا ما وصلت إلى الوعي بعبارة أخرى؛ الوعي هو تلك العمليات التي يدركها العقل، أما الوعي الأولى فهو تلك الذكريات المختزنة بعيداً عن الوعي والتي قد تأتي لبؤرة الوعي إذا كانت الحاجة إليها ملحة .. أما اللاوعي فهو تلك الأفكار التي تكبح في الباطن⁽⁸⁸⁾

تعريف الوعي

محاولة التعرف على الوعي أو تعريفه توضح الفارق الشاسع بين الإنسان في حالة وعيه وعقل (برنامج الحاسوب في حالة تشغيله. إن الوعي دليل وجود العقل، إنه حصنه ومظهره في الوقت نفسه. يمكن تعريفه على

(87)Velmans, M.; "What and where are Conscious experiences?" In, velmans M., (ed.); The Science of Consciousness: Psychological, Neuropsychological and Clinical Reviews, Routledge, London, G.B., 1995, p.1.

(88)Westen D.; Psychology: Mind Brain & Culture. 2nd ed., John Wiley & Sons, Inc., N.Y, 1999, P.400.11

نحوين: تعريف ما صدق وأخر مفهومي أما الوعي بمعناه الماصدق فإنه يشتمل على كل ما يمكن أن يخبره الواحد منا في حالتي جلاء الوعي وشحوبه (89). وينطوي هذا التعريف على ثلاث مراتب: وعلى الواحد منا بذاته أولاً ، ثم وعيه بالآخر : الإنسان وما يرتبط بوجوده من أشياء ، حيث تؤدي بنا الخبرة مزودة بالاستدلال إلى توقع وجوده وثالثاً : التعرف على موضوعات حتى في حالة عدم إدراكها في صورة حسية مثل الأفكار. أما التعريف المفهومي للوعي فيتناول شواهد الوعي من خصائص وصفات، وفيه يمكن القول: "يرتبط حدوث الوعي بإحساسات بالألوان والأصوات ودرجات الحرارة والضغط وغيرها من الإحساسات التي تؤلف هيئة مركبة وتترابط مع الحالات والمشاعر والنوايا، على أن يتم ذلك كله في إطار نظام للإدراك الزمكاني الخاص" ويشمل هذا التعريف مساحة واسعة من الوعي بالمدرجات، منها ما هو مثل المدرجات السمعية واللمسية والخاصة بالشم والطعم، وإدراكات تخلو من الحس مثل صور الذاكرة والأفكار والانفعالات والقدرة على التجريد، إضافة إلى الحقائق القائمة بذاتها (90).

ويشير Bisiach إلى أن مفهوم الوعي يستخدم بثلاث طرق مختلفة جداً (91). الاستخدام الميتافيزيقي تقريبا لكي تمثل شيئا ما يكون بشريا بشكل خاص، مفهوم لا يكون بهذا الشكل مختلفا عن المفهوم القديم للروح واستخدام هذا المفهوم بهذا الشكل يعطى البحث عن فهم الوعي خصيصة شبه غامضة، فهو يميل إلى أن يثير أسئلة مثل "هل يمكن لآلة أن تصبح واعية في أي وقت؟ على حين يعطى إمكانية صغيرة للإجابة عن هذه الأسئلة وليس من خلال عدد من الافتراضات الاعتباطية إلى حد ما. إذا كان لهذا الاستخدام للمفهوم أي مكان مفيدا ، فمن المؤكد أنه لا يكون في علم النفس المعرفي حيث من المحتمل أن

(89)Kuhlenbeck, H., "The Concept of Consiousness in Neurological Epistemology" Inc. in Smythis, (ed.) Brain and Mind, Routledge & Keagan Paul, London, 1968. pp. 142-3.

محمد محمد قاسم : علاقة نماذج الإدراك المعرفي بالتمثيلات الذهنية بحث في فلسفة العقل ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1998 ، ص ص 87 ، 88 (90)

(91)Collins, A.; Gattercole, S. E.; (eds.); Theory of memory, Lowrence Eslloum Associates, pub. Have. U.K., 1993. P. 16.

نقلاً عن عادل عوض : حقيقة الوعي الإنساني، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004، ص12

يكون البحث عن جوهر الوعي ليس أكثر فائدة عما كان عليه البحث في علم الأحياء عن elanvital التي أسرت جوهر الحياة. وتاماما كما وجدت البيولوجيا أنه كان أفضل بكثير أن نعد الحياة خصيصة ملحة للمادة تحت شروط بعينها، لذلك فإنه يبدو من المحتمل أن الوعي سيثبت أنه خصيصة ملحة، أو مجموعة من الخصائص، لتراكيب معرفية محددة.

أما المعنى الثاني للكلمة الذي ناقشه Bisiach يتعلق بالوعي بوصفه مادة للخبرة، كالزرقعة التي تدخل في خبرة الشخص عند نظره لأعلى نحو السماء في يوم مشمس، أو الطعم المميز لقطعة من الجين، وهو ما أشار إليه الفلاسفة بـ. (qualia)

وقد بحثت "ويلكز" دون جدوى عن مثل هذا المفهوم في الفلسفة التقليدية، ولاحظت فيما بعد عدم وجود الكلمة المرادفة في اللغة الصينية، ولا في الصربية - كرواوية، بعد ذلك عبرت عن شكلها في أنه إذا كان هذا المفهوم في الواقع مهما وأساسيا كما تميل إلى افتراض ذلك، فإنه من الغريب عدم اكتشافه في الصينية أو عدم وجود مرادف له في الصربية - كرواوية، وأشارت أيضا إلى أن اليونانيين تدبروا ونجحوا في مناقشة معظم المسائل الوثيقة بالموضوع دون الحاجة إلى مفهوم الوعي ولاحظت أن في اللغات الغربية الأوروبية، ظهر المفهوم تابعا لديكارت واقترحت أنه نتيجة مباشرة للثنائية الديكارتية، مواجهها بمشكلة إيجاد أساس وطيدي يمكن أن يبنى عليه فلسفته، اختار ديكارت أن يحدد هذا الدور للخبرة الواعية: "أنا أفكر إذن أنا موجود"، بالطبع لم يكن هناك سبب لدعم الافتراض بأن الخبرة الواعية تعطى مثل هذا الأساس.

والمعنى الثالث للكلمة يتعلق بالوعي بوصفه خصيصة ملحة لنظام معرفي، والذي من خلاله يحدد طريقا واحدا فيه يمكن للمعلومات من جزء واحد من النظام أن تؤثر على النظام كله. وبرؤيته بهذه الطريقة، فإن الوعي يصبح مشكلة للعلم المعرفي وعلم النفس المعرفي، حيث يتم التعامل معه باستخدام أساليب بعينها لا تكون

مختلفة بشكل أساسي عن تلك المطبقة في الأشكال الأخرى
للإدراك.

بالإضافة إلى ذلك ، فإن العلاقة بين النظريات المختلفة
لوظائف الوعي غالباً ما تكون غامضة. لا يبدو دائماً
أنها تسعى لتحقيق نفس الهدف. في بعض الأحيان ، يبدو
حتى أنها تستند إلى تصورات مختلفة للوظائف والوعي.
وتقع نظريات الوعي نفسه في مأزق مماثل. لا يوجد توافق
حول ما هو الوعي ، والعلاقة بين النظريات المختلفة
للوعي ليست واضحة على الإطلاق. لحل هذا الوضع المزعج ،
قام بعض الباحثين بتطوير مناهج لمقارنة وتقييم
نظريات الوعي بشكل نظامي. يبدو أن نهجاً مماثلاً
لنظرية الفلسفية ضروري للتقدم في دراسة وظائف
الوعي .

أحد أشباح الفلسفة الحديثة للعقل هو الوعي. فإذا كنا
فقط نحن البشر غير واعين، فإن الأشياء في فلسفة العقل
كانت ستغدو أكثر سهولة وسلاسة. إن «خطة اللعبة
الفلسفية الشائعة لـ «تطبيع» العقل بـ «اختزاله إلى
الشروط التي يمكن أن تتحقق والتي يمكننا أن نفسرها
بحيادية وطيب خاطر بلغة البيولوجيا أو فسيولوجيا
الأعصاب أو الفيزياء سوف تصبح ظاهرة جديدة بالتصديق.
لكن كل فلاسفة العقل وكذلك هؤلاء المنخرطين في علوم
المخ كان عليهم أن يقرروا أننا جميعاً نرتبك بالكامل
عن طريق الوعي. فلا يوجد أي عالم بدأ حتى الآن في فهم
كيف تطور الوعي مثلاً أو كيف ينبثق هذا الوعي أو يبزغ،
وكيف يُحتفظ به في أنواع معينة من العمليات المخية من
دون بقية العمليات⁽⁹²⁾.

وإذا نظرنا من زاوية أخرى، فإن الوعي يفسد أو يثير
زوبعة في بحر الهدوء والسكينة الذي نطلق عليه اسم
«الموضوعية». لكن الموضوعية مقصود بها هذا الإجراء أو
الخطوة من أجل الحصول على المعرفة، وهذه الحالة من
اكتساب المعرفة التي تربطها بالخطوات أو الإجراءات
والبيانات الخاصة بـ «العلوم الصلبة مثل الفيزياء
والكيمياء فخطواتهما أو إجراءاتهما وبياناتهما

وليام ليونز: فلسفة العقل، ضمن كتاب مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين، ترجمة مصطفى محمود محمد، عالم المعرفة، الكويت 2004، ص 256. (92)

«موضوعية، لأن الخطوات تتضمن تجارب أو ملاحظات تجريبية وعامة وقابلة للتكرار، وأن البيانات الناتجة بيانات كمية قابلة للقياس من الناحية الرياضية وقابلة للاختبار عن طريق المزيد من التجربة أو الملاحظة. ومن ناحية أخرى فإن الوعي يوجد فقط على أنه تيار خاص من الوعي لشخص معين وأن محتوياته الظاهرية الخاصة بالظاهرة قابلة لكل من شكل الوجود والطريقة التي يمكن أن يُعرف بها. فالوعي يربك تساؤلاتنا للمعرفة المباشرة فقط من هذا الشخص نفسه. أي أن الوعي ذاتي أو شخصي في كل من شكل الوجود والطريقة التي يمكن أن يعرف بها، فالوعي يربك تساؤلاتنا الموضوعية بذاتيته الحقيقية والفعلية.

يهدف هذا الفصل إلى المساهمة في هذا المشروع الفلسفي من خلال تطوير إطار منهجي لنظريات وظائف الوعي. يتألف هذا الإطار من ثلاثة أبعاد: (أ) الهدف، (ب) الترتيب التوضيحي، و (ج) الضرورة / الكفاية. البعد الأول، الهدف، يحدد موقع النظريات في الإطار بناءً على نوع الوعي الذي يشكل هدفها التوضيحي. على سبيل المثال، يمكننا التمييز بين النظريات التي تستكشف وظائف وعي الحالة ووعي الكائن، ووظائف التجربة الإدراكية والتجربة العاطفية، وما إلى ذلك. البعد الثاني، الترتيب التوضيحي، يحدد موقع النظريات بناءً على تصورها الأساسي للعلاقة التوضيحية بين الوعي والوظائف. بعض النظريات تسعى إلى تفسير الوعي في إشارة إلى وظائفه، بينما يسعى البعض الآخر إلى تفسير وظائف معينة في إشارة إلى الوعي. وهناك من يعتقد أن الوعي متطابق وجودياً مع وظيفة معينة، مما يشير إلى غياب ترتيب توضيحي بينهما. البعد الثالث، الضرورة / الكفاية، يحدد موقع النظريات من حيث ما إذا كانت تقدم وظيفة معينة كونها ضرورية و / أو كافية لوجود الوعي⁽⁹³⁾.

من خلال تحديد موقع النظريات في هذا الإطار، يمكننا أن نعتزف بأي منها يقدم تفسيرات تنافسية حقاً وأياً

(93) Nikawa, T, and others, p4.

تعد تفسيرات متوافقة بعد تحقيق أهداف مختلفة. بعد ذلك ، يمكن للباحثين توجيه تحقيقاتهم. وبمعنى آخر ، يمكنهم أن يقدموا تحقيقاً للاثبات بالمعنى الأكثر احتمالاً من بين النظريات التنافسية في ضوء هدفهم المشترك. بدلاً من ذلك ، يمكن أن ينظروا في العلاقة بين النظريات التي تتناول جوانب مختلفة من وظائف الوعي. على سبيل المثال ، قد يسعون إلى تحديد كيف تتكامل هذه النظريات مع بعضها البعض مع النظرة إلى تطوير نظرية موحدة للوعي ووظائفه. ومع ذلك ، يمكن أن تكون النظريات الحالية غامضة بشأن واحد أو أكثر من هذه الأبعاد. في مثل هذه الحالات، يساعدنا الإطار على توضيح طبيعتها من خلال تسليط الضوء على غموضها المفاهيمي واقتراح كيفية توضيحها⁽⁹⁴⁾.

ملاحظات أولية: الوظيفة والوعي
إن الوظيفة تعني أشياء مختلفة لأناس مختلفين. على سبيل المثال، مشروع موسوعة عناصر الحمض النووي الحديثة (ENCODE) ، الذي هو عبارة عن الجنة كبيرة من العلماء المتخصصين الذين كرسوا جهودهم في محاولة للتعرف على الوظائف المخزنة في الجينوم البشري، تتابعا بتتابع؛ وأحد أهم الميزات في هذا المشروع هو الشعار الذي يتردد كثيرا أن ٨٠ بالمائة من الجينوم البشري ذو وظيفة (هيئة مشروع عناصر الحمض النووي الحديث، ٢٠١٢، ٥٧). وهذا يتعارض مع فكرة أن معظم حمضنا النووي عبارة عن نتف بلا قيمة وبلا وظيفة. غير أن بعض العلماء مثل عالم الكيمياء الحيوية فورد دوليتل Ford Doolittle أشار إلى أن الحقيقة الواضحة في هذا الصدد تعتمد بشكل أساسي على تعريفنا للوظيفة. وقال أيضا إن العلماء المنضمين لهذه الهيئة ربما وسعوا مدى التعريف خارج الحدود المنطقية⁽⁹⁵⁾.

الوظيفة هي مصطلح غامض. عندما نقول أن X يحمل وظيفة حسابية ، فإن ذلك يعني بشكل تقريبي أن X يأخذ إدخالات معينة ويعيد نواتج معينة تحت ظروف خلفية معينة.

(94) Ibid.p.5.

جاستن جارسون: العقل البيولوجي، ترجمة حسين ثابت، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2006، ص218.(95)

بالمقابل ، عندما نقول أن X يحمل وظيفة بيولوجية ، فإن ذلك يعني بشكل تقريبي أن X يلعب دورًا معيّنًا في الحفاظ على حياة الكائن الحي. من المعتاد في فلسفة الأحياء تمييز مفهومين للوظائف البيولوجية: مفهوم "التأثير المختار" ومفهوم "الدور السببي". يعني مفهوم التأثير المختار أن الكيان X الذي يحمل وظيفة تم اختياره تاريخيًا بواسطة الانتقاء الطبيعي بالضبط لأنه يحمل هذه الوظيفة. بالمقابل ، يعني مفهوم الدور السببي فقط أن الكيان X يساهم حاليًا في عمل النظام الذي ينتمي إليه. الوظائف الحسابية والبيولوجية ليست بالضرورة متعارضة بمعنى أنه يمكن إعادة وصف الوظائف البيولوجية وشرحها بوصفها وظائف حسابية-وظيفية. عندما نتحدث في هذا الفصل عن وظائف الوعي ، فنحن ننشغل بالنظر إلى وظائفه البيولوجية ولكن دون التمييز بين مفهوم التأثير المختار ومفهوم الدور السببي⁽⁹⁶⁾.

للقول بأن الوعي له وظائف لا يعني أن الوعي محدد بوظائفه. يميز بلوك (1995) بين نوعين من المفاهيم للوعي: الوعي الوصولي والوعي الظاهري. يتم تحديد الوعي الوصولي بالنظر إلى الدور الوظيفي الذي يفترض أن يكون الوعي مكلفًا به. بالمقابل ، يتم تحديد الوعي الظاهري بالنظر إلى الخصائص الظاهرية ، وهي الخاصية التي تتمثل في وجود شيء ما يشبه الكون في حالة عقلية. وبناءً على هذا التمييز ، قد يكون الشكل الأوسع للنقاشات حول وظائف الوعي هو الوعي الوصولي بدلاً من الوعي الظاهري. ومع ذلك ، فإن تعريف الوعي الظاهري لا يعني أنه لا يلعب أي دور وظيفي في حياتنا الإدراكية. ليس هناك سبب مسبق لرفض إمكانية وجود صلات قانونية بين الوعي الظاهري ووظائف الإدراك ؛ إن الأسئلة المتعلقة بوظائف الوعي مفهومة بموجب المفاهيم الظاهرية للوعي. ولذلك ، يمكن اعتبار النقاشات حول وظائف الوعي تتعلق بالوعي الظاهري⁽⁹⁷⁾.

(96)Nikawa,T,and others.p5.

(97)Ibid.p.5.

لنتحول الآن إلى النقاشات الحالية حول وظائف الوعي. نُقترح نظريات مختلفة ، تستند إلى منظورات نظرية مختلفة. على سبيل المثال ، يستند ديهان (2014) إلى النتائج التجريبية لاقتراح أن وظيفة الوعي هي بث المعلومات على نطاق عالمي داخل الأنظمة الإدراكية. بناءً على نظرية تمثيلية للوعي ، يُجادل تاي (1996) بأن وظيفة الوعي هي "تزويد المراكز المفهومية بمعلومات من الحواس ، للاستخدام العقلاني للسيطرة على العمل ، وبالتالي تمكين المخلوقات من القيام بمجموعة واسعة من الأشياء". بالمقابل ، يستند كريجل (2004) إلى اعتبارات الظواهر ويقول إن الدور الوظيفي للوعي هو "تزويد الفرد بما يكفي من المعلومات لمعرفة كيفية الحصول بسهولة على معلومات أكثر عن تجربته المتزامنة". يقترح بيرش وآخرون (2020) من منظور تطوري أن التعلم الرابط غير المحدود هو علامة وظيفية تميز التحول من مخلوقات غير واعية إلى واعية⁽⁹⁸⁾. ينضم مايكل تاي إلى قائمة الفلاسفة المعاصرين الذين يرون في الوعي ظاهرة محيرة وأن جانب الوعي الذي يجعل منه ظاهرة محيرة هو ذلك الذي يعرف بالوعي الظاهر إلا أنه ينضم في الوقت نفسه إلى أولئك الذين يرون إمكانية تقديم نظرية فلسفية تفسر الوعي، تغلق بذلك الهوة التفسيرية المزعومة محددًا هدفه - متفقا في ذلك مع درتسكا في تقديم نظرية تمثيلية تفسر الوعي الظاهر - أو الطبيعة الظاهرية للخبرات أي جانبها المشعور به⁽⁹⁹⁾. والذي تشترك فيه كل من الخبرات والإحساسات مثل خبرة لون أحمر، أو الإحساس بالألم أو الزهو⁽¹⁰⁰⁾. لا تمثل ظاهرة الوعي الظاهر - وفقا لتاي - مشكلة واحدة ولكن عشر مشكلات، كل واحدة تنبع من أحد جوانب الوعي الظاهر ، تمثل في مجموعها - وفقا لتاي - أصعب ما يمكن للفلسفة حاليا أن تتناوله⁽¹⁰¹⁾. على هذا النحو

(98)Ibid.p.5.

(99)Tye, Michael, Consciousness, Color and Content, op. cit, p. 45.

(100)Tye, Michael, Ten Problems of Consciousness, Cambridge, Mass., MIT Press, 1995, p. xiii.

(101)Ibid, p. 35.

فإن هدف تاي أن يقدم نظرية تحل هذه المشكلات العشر (102).

لما كان الفلاسفة يختلفون بشأن تلك الحالات العقلية التي يمكن أن نصفها بأنها حالات لوعي ظاهري، كان لا بد من أن نبدأ بتحديد تلك الحالات التي يراها تاي تمثل الوعي الظاهر، الحالات العقلية الواعية ظاهرياً هي تلك المتمثلة فقط في الخبرات الحسية والإحساسات. إذا أردنا تفصيلاً لها فإنها: ١- الخبرات الإدراكية أي الخبرات الناجمة عن الحواس الخمس، أي رؤية أو سماع أو تذوق أو شم أو لمس شيء ما ؛ ٢- الإحساسات الجسدية: كالإحساس بالألم أو الجوع أو الحرارة أو الدوران؛ ٣- المشاعر أو العواطف: مثل الخوف أو الحب أو الحزن أو الغيرة؛ ٤- الأمزجة المختلفة مثل الإحساس بالسعادة أو الاكتئاب أو الملل أو التوتر. على هذا النحو يستبعد تاي الرغبات والتذكر في ذاتها. فما لم تكن هذه الحالات مصحوبة بإحساسات أو خبرات، فلا وجود لوعي ظاهري بها (103).

تشير بعض الأبحاث إلى أنه على الرغم من تنوع الآراء، هناك عدة نقاط تتوافق في هذه الأدبيات. على سبيل المثال، وفقاً لمورسيلا (2005)، يتفق علماء النفس الإدراكيين بشكل عام على أن الوعي يعمل على "دمج الأنشطة العصبية وهياكل معالجة المعلومات التي ستكون مستقلة في حالة أخرى"، وهو ما تسميه "الاتفاقية المتكاملة". يزعم بلاك (2021) أن هناك أربع نقاط أخرى للتوافق فيما يتعلق بوظيفة الوعي: (104)

- (١) القصدية: تحتوي التجربة الواعية على محتوى تمثيلي يجب أن يكون متاحاً للمعالجة اللاحقة من قبل النظام المعرفي الأوسع.
- (٢) الحتمية الزمنية: تثير التجارب الواعية توقعات حول المستقبل تستند إلى التجربة الماضية. هذه التوقعات تدعم أيضاً إمكانية الدهشة، التي هي جزء أساسي من عملية التعلم.

(102)Ibid, p. xiv.

نقلاً عن بهاء درويش: التفسير الطبيعي المعاصر للوعي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2009، ص96 (103).

(104)Nikawa,T,and others.p6.

(٣) التكيف: تسهم المعالجة الواعية في عملية التعلم وتعليم السلوك المشغل وحل المشكلات غير التلقائية والتخطيط والسيطرة الموجهة نحو الهدف على العمل. بينما المعالجة غير الواعية تسهم في التلقائية والخبرة والمعالجة الموازية الضخمة.

(٤) القيمة: تعطي التجربة الواعية قيمة إيجابية وسلبية لبعض محتويات النوايا الداخلية والخارجية، مما يحفز السلوك الذي يحافظ على استقرار الكائن الحي الداخلي.

ومع ذلك، يرفض بعض الباحثين قبول كل هذه النقاط التي تحظى بإجماع ظاهري. يعزو علماء النفس الشامل، مثل جوف (2017)، دورًا مختلفًا جذريًا للوعي، زاعمين أن الكيانات الفيزيائية الدقيقة تمتلك الوعي، والذي يعمل كأساس قاطع للهيكل السببية للعالم المادي، بما في ذلك أجسادنا. يدعي أصحاب الظواهر الثانوية أن الوعي ليس سوى ظاهرة ثانوية للعمليات الفيزيائية وبالتالي لا يلعب أي دور وظيفي. ينكر بعض الباحثين المنحصرين في التجربة أيضًا أن الوعي يلعب أي دور وظيفي ذو أهمية. على سبيل المثال، يستشهد روزنثال (2008) بالأبحاث التجريبية لدعم حجته بأن الوعي بالحالات القصدية غير الإدراكية (مثل التفكير والرغبة) ليس له وظيفة مهمة. وبالمثل، يزعم لاو (2009) أنه "يمكن أداء العديد من الوظائف المتطورة بصورة غير واعية أو قائمة على معلومات غير واعية"، ويستنتج أن "التجارب لم تتمكن بعد من تحديدها بشكل مقنع" (105).

ينبغي أن تكون هذا النظرة العامة القصيرة كافية لتوضيح تقييما السابق للمنظومة النظرية الحالية. هناك آراء متباينة بشكل كبير ليس فقط حول ما يشكل وظائف الوعي ولكن حتى بشأن وجودها. علاوة على ذلك، ليس من الواضح حتى مما إذا كانت جميع هذه التفسيرات المتباينة تسعى إلى نفس الهدف عندما تدعي تقديم تفسيرات لوظائف الوعي. ولذا، نعتقد أن النهج الشمولي meta-theoretical ضروري اليوم لتحقيق فهم واضح

لوظائف الوعي. في الجزء التالي، سنبدأ النظر في النظرة الشمولية من خلال تقديم البُعد الأول، الهدف، الذي يشكل إطارنا ثلاثي الأبعاد⁽¹⁰⁶⁾.
الهدف

الحالات الواعية والمخلوقات الواعية
تفترض كل نظرية لوظائف الوعي تصويرًا محددًا للوعي في تحديد هدفها التفسيري - حتى لو لم يتم ذكر ذلك دائمًا بصراحة في النظرية نفسها. لنأخذ في الاعتبار التمييز بين "وعي المخلوقات" و "وعي الحالة"، الذي يعتبره بعض الباحثين أمرًا حاسمًا لدراسة وظائف الوعي. وعي المخلوقات يرجع إلى الكائن، بما في ذلك الكائنات البيولوجية والنظم المعرفية الاصطناعية، المأخوذة ككل. عندما نقول إن البشر والخفافيش لديهم وعي، ولكن النباتات والأجنة والترموستات ليس لديها، فنحن نشير إلى وعي المخلوقات. ونشير إلى خاصية الكون، والتي يمكن تجسيدها بطرق مختلفة عندما تخضع الكيانات لتجارب ومشاعر ومعرفة وأشكال أخرى من التجربة. بالمقابل، يشير وعي الحالة إلى خاصية وعي مرتبطة بالحالات والعمليات العقلية، والتي ليست سوى مكونات للكائنات المأخوذة ككل. عندما نقارن حالة إدراكية واعية، أو عملية استدلال واعية، أو التحكم الحركي الواعي بالحالات والعمليات غير الواعية المقابلة، فنحن نتحدث عن وعي الحالة. وبناءً على ذلك، فإن النظريات المتعلقة بوظائف الوعي التي تستكشف وعي المخلوقات وتلك التي تستكشف وعي الحالة لديها أهداف تفسيرية مختلفة. وبناءً على ذلك، فإنها لن تكون بالضرورة في منافسة حتى لو قدمت تدعيات مختلفة بشأن وظائف الوعي⁽¹⁰⁷⁾.

إذا كان كل عقل جوهرًا روحيًا أو عقليًا، وإذا كانت العقول غير قابلة للتحطيم، إذن يبدو أنه إذا كان عند الحيوانات عقول، إذن كل حيوان سوف يمتلك نفسًا خالدة. ولكن إذا اكتشفنا أن عند كل كلب وكل قطّة وبرغوثة

(106)Ibid,p3

(107)Ibid,p5

وجندب نفسا ،خالدة ، إذن إذا أردنا التعبير عن أنفسنا بصورة لطيفة ، فسوف تكون السماء مكتظة بالسكان. لقد كان حل ديكارت لمشكلة عقول الحيوانات سريعا وقاسيا ، قال إن الحيوانات لا تمتلك عقولا ، ولكنه لم يكن دوغمائيا في هذا القول، لأنه ظن أنهم قد يمتلكون عقولا، ولكن بدا له علميا أن امتلاكهم عقولا احتمال بعيد المدى، وأعتقد أن الفارق الحاسم بيننا وبين الحيوانات، الذي يمكننا من التأكد أن الكائنات الإنسانية تمتلك عقولا، بينما الحيوانات لا تمتلك عقولا. هو أن الكائنات الإنسانية تعبر عن أفكارها ومشاعرها بلغة، ولكن ليس عند الحيوانات لغة وأعتبر افتقادها اللغة دليلا ساقيا على افتقارها إلى الأفكار والمشاعر، ومن طرفه، أقر ديكارت أن هذه النتيجة تتعارض مع الإدراك البديهي counter intuitive . إذا رأينا مركبة تدهس كلبا وإذا سمعنا الكلب ينبح من ألم واضح فلا بد من أن نفترض أن الكلب يمتلك مشاعر مماثلة لمشاعرنا، ولكن ديكارت يقول إن كل هذا وهم، شفقتنا على الكلب يجب ألا تكون أكثر أو أقل من شفقتنا على المركبة عندما تتحطم، قد تضع ضجة التحطم العربة في مظهر الألم، ولكن هذا ليس صحيحا، وهذا ينطبق على الكلاب وجميع الحيوانات الأخرى. قد يبدو غريبا إذا أنكر المرء أن الكلاب وكل الحيوانات الأخرى واعية ولكن ديكارت فكر في هذا الأمر على النحو التالي. في الحالة الإنسانية، الجسد غير واع النفس الخالدة المرتبطة مع الجسد هي فقط العنصر الواعي في الإنسان. ولكن في حالة الكلب، يبدو من غير المعقول أن يمتلك الكلب نفسا خالدة، لأنه يتكون من جسد فقط، ولا يمكن للأجساد عامة أن تكون واعية. إذن الكلب غير واع، وجميع الحيوانات الأخرى غير واعية (108) .

وبالتالي، يجب أن يرتبط الوعي ارتباطا وثيقا بالإرادة الحرة. يجب اختيار الغرض من قبل الكيان نفسه من أجل

وجود شيء مثل الوعي. علاوة على ذلك، يبدو أن هذا الوعي ضروري حتى يتمتع الفرد بحرية الاختيار⁽¹⁰⁹⁾.
نقترح أن الاختلاف في وظائف هاتين النموذجين من الوعي يتطابق مع الاختلاف بين "قدرة العقل على المستوى الشخصي" و "الدور العقلي على المستوى اللاشخصي".
كيفية تعريف الفصل بشكل أفضل هي مسألة مثيرة للجدل. من دون العنونة بالتفاصيل، سنفترض هنا أن القدرات العقلية على المستوى الشخصي هي خصائص يعزى بها للكائنات بأكملها. على سبيل المثال، الرؤية هي قدرة تتبع للمكونات التي يمكن أن تحدد حجم وشكل الكائنات البيئية استنادًا إلى المعلومات البصرية التي يتم توصيلها من خلال العيون. الأدوار العقلية على المستوى اللاشخصي هي خصائص يعزى بها للحالات العقلية التي تعد مكونات للكائنات بأكملها. على سبيل المثال، يعتبر اكتشاف الحواف edge detection دورًا على المستوى اللاشخصي يتوافق مع منطقة الرؤية في الدماغ (أو مكوناتها الفرعية)، والتي تعتبر مكونًا حاسمًا للكائن بأكمله والذي يدعم قدرته الشخصية على الرؤية⁽¹¹⁰⁾.
وظيفة وعي المخلوقات تتطابق مع القدرة على المستوى الشخصي التي يكتسبها الكائن من خلال امتلاكه وعي المخلوقات. على سبيل المثال، يشير كاناي وآخرون (2019) إلى أن وظيفة الوعي هي منح الكائنات (وربما الأنظمة غير العضوية) "القدرة على إنتاج تمثيلات مضادة ربما باستخدام نماذج داخلية تم تعلمها من خلال التفاعلات مع البيئة". نظرًا لأن هذا يحدد ما يمكن أن يفعله الكائن بأكمله بفضل وجود الوعي، فيمكننا اعتباره وصفًا لوظيفة وعي المخلوقات⁽¹¹¹⁾.
في المقابل، فإن وظيفة وعي الحالة يتحدد بواسطة الدور العقلي على المستوى اللاشخصي الذي يمكن أدائه من قبل الحالات أو العمليات الواعية، والتي لا يمكن أن تؤدي الحالات أو العمليات غير الواعية، داخل النظام الإدراكي بأكمله. على سبيل المثال، يمكن

(109)Charles, Townes

(110)Nikawa,T,and others.p5.

(111) Ibid.p5

توصيف وظيفة حالة بصرية واعية بالنسبة لدورها في توصيل المعلومات البصرية إلى العمليات الإدراكية الأخرى ، مثل التحكم الحركي ، والتخطيط ، والتخيل ، داخل النظام الإدراكي. على سبيل المثال ، يؤكد ديهان (2014) أن "وظيفة الوعي ربما تكون تبسيط الإدراك من خلال صياغة ملخص للبيئة الحالية قبل التعبير عنها بصوت عالٍ وبطريقة متسقة لجميع المناطق الأخرى المتورطة في الذاكرة والتفكير والعمل". نظرًا لأن هذا يتعلق بدور حالة إدراكية واعية داخل النظام الإدراكي ، يمكننا أن نستنتج أن ما يصفه ديهان هنا هو وظيفة وعي الحالة الإدراكية⁽¹¹²⁾.

ويفهم وعي الحالة بمجموعة متنوعة من المعاني هي⁽¹¹³⁾ :
الحالات التي يكون المرء مدركا لها
اقترح روزنتال أن الحالة العقلية الواعية هي ببساطة حالة عقلية يدرك المرء أنه يعيش فيها. والحالات العقلية بهذا المعنى تجسد فكرة ما بعد القصيدة meta intentionality - طالما أنها تشترط أن تكون الحالات العقلية هي ذاتها حول حالات عقلية. وتبعًا لذلك فإن امتلاك الإنسان لرغبة واعية في تناول كوب من عصير المانجو هو امتلاك هذه الرغبة. زد على ذلك أن يكون المرء مدركا مباشرة أن لديه هذه الرغبة. وفي هذا الإطار تكون الحالات غير الواعية حالات تملكها . غير أن ندرك أنه تملكها.

يمكن النظر إلى الحالة الواعية بطريقة مختلفة عن الطريقة السابقة ، وذلك عندما نعتبرها حالة واعية فقط إذا كانت تملك أو تتضمن خصائص كيفية من النوع المعروف باسم الكيفيات qualia (والمفرد كيفية quale أو مشاعر حسية. فالإدراك البصري لاختراق العشب في الحديقة يعد حالة عقلية واعية لأنه يتضمن كيفية حسية ، وهي الإحساس باللون .

ينظر أحيانا إلى الكيفيات على أنها خصائص ظاهرية ، وينظر إلى الوعي المرتبط بها على أنه وعي

(112)Ibid,p6

صلاح إسماعيل: فلسفة العقل، دار قباء القاهرة، 2008، ص ١٠١. (113)

ظاهري . phenomenal consciousness ولكن مصطلح الوعي الظاهري أوسع في دلالاته من الكيفيات الحسية، إذ ينطبق على البنية الشاملة للخبرة الواعية التي تتضمن التنظيم الزمان والمكاني المفهومي الخبرتنا بالعالم وإدراكنا لأنفسنا ومن ثم يجب التمييز بين مفهوم الوعي الظاهري ومفهوم الوعي الكيفي، برغم ما بينهما من تداخل.

وفي إطار وعلى الحالة، يقول سيرل : " يدل الوعي على حالات الإحساس sentience والإدراك awareness التي تبدأ بصورة نموذجية عندما نستيقظ من نوم بلا أحلام وتستمر حتى تذهب إلى النوم مرة أخرى أو نقع في سبات أو غيبوبة) أو نموت أو نصبح (غير واعين) بطريقة أخرى". ولا يذكر سيرل أن الأحلام صورة من الوعي، ولكنه يؤكد على وجود اختلاف كفي بين الأحلام والوعي العادي اليقظ. ولا يفوت سيرل أن يذكرنا بأن الوعي ظاهرة بيولوجية، وأننا نستطيع أن نتحدث عن قدرة الأمخاخ البشرية والحيوانية على تقديم الوعي بنفس الطريقة التي تقدم بها النظم البيولوجية الهضم، وأن الوعي تسببه عمليات في المخ. وإذا كان الوعي جزءا من العالم البيولوجي، فلا مجال للقول إنه لغز الألغاز وبيت الميتافيزيقا⁽¹¹⁴⁾.

اقترحنا هو أنه يجب علينا تمييز بوضوح وظائف الوعي للكائن ووعي الحالة عند استكشاف وظائف الوعي، لأنهما مختلفان في الفئة: واحد على المستوى الشخصي والآخر على المستوى اللاشخصي. من خلال تسليط الضوء على هذا التمييز المفهومي، يمكننا استقصاء العلاقات المحددة بشكل فعال بين الوظائف على المستوى الشخصي واللاشخصي للوعي. على سبيل المثال، هل يمكن تقليل وظيفة الوعي على المستوى الشخصي إلى مجموعة من الأدوار العقلية على المستوى اللاشخصي للحالات الواعية المقابلة؟ هل يتم تمييز الدور العقلي على المستوى اللاشخصي للحالات الواعية بشكل جوهري بوظيفة الوعي على المستوى الشخصي التي يساهمون فيها؟ لا يمكن الإجابة عن أسئلة من هذا

المرجع نفسه، ص ١٠٢ (114)

النوع بفعالية إلا عندما نميز بوضوح بين وعي المخلوقات ووعي الحالة ، وبالتالي بين نوعين متميزين من وظائف الوعي. هذا مماثل للواقع أن التمييزات المفاهيمية الواضحة تسمح لنا باستكشاف العلاقات بفعالية بين ، على سبيل المثال ، الوعي الظاهري والوعي المتاح ومفهوم التأثير المختار ومفهوم الدور السببي للوظيفة البيولوجية⁽¹¹⁵⁾.

الوعي العام والوعي الخاص
تميز آخر مهم عند تحديد هدف نظرية وظائف الوعي هو الفرق بين "أنواع محددة" من الوعي و"خاصية عامة" توجد في جميع أنواع الوعي. وبناءً على ذلك ، يمكن للدراسات المتعلقة بوظائف وعي المخلوقات أن تسلك اتجاهين ممكنين: يمكن أن تدرس إما وظائف أنواع محددة من التجارب ذات الوعي أو الوعي كخاصية عامة. سنوضح كل من هذه التصورات بالترتيب⁽¹¹⁶⁾.

وعي المخلوقات هو خاصية الوعي المنسوبة إلى وكلاء تؤخذ ككل. يتم تجسيده في أنواع مختلفة من التجارب ، مثل التصويرية والعاطفية والإدراكية. ستختلف الوظيفة المرتبطة بنوع محدد من التجربة ذات الوعي عن وظيفة أنواع أخرى من التجارب المدركة. على سبيل المثال ، قد يعتقد المرء أن الألم له وظيفة تحفيز الفرد لاتخاذ إجراءات معينة فيما يتعلق بأجزاء الجسم المحتملة في وضع الخطر. تجارب حسية أخرى مثل الرؤية أو التذوق أو حتى اللمس بشكل واضح لا تشترك في هذه الوظيفة الإدراكية. قد يكون هناك حتى نوع من التجربة ذات الوعي الأولي لدرجة أن القواقع يمكن أن تمتلكها. وبالتالي ، ستتفاوت وظيفة وعي المخلوقات اعتمادًا على نوع التجربة ذات الوعي المحدد التي يتم تعيينها كهدف تفسيري. على سبيل المثال ، يمكننا تحديد وظائف مختلفة لوعي الخفافيش ووعي الإنسان من خلال دراسة وظائف تجاربهما المدركة بشكل منفصل⁽¹¹⁷⁾.

(115)Nikawa,T,and others.p6.

(116) Ibid.p6.

(117)Ibid.p6.

على الرغم من هذا التنوع في أنواع التجارب الواعية، يمكننا أيضًا التعامل مع وعي المخلوق كنوع عام واحد. يمكن أيضًا أن تكون وظيفة هذا النوع العام من وعي المخلوق هدفًا للبحث. ولأنها مشتركة بين كل أنواع التجارب الواعية، بما في ذلك بعض التجارب البدائية، فيجب أن تكون عامة إلى أقصى حد⁽¹¹⁸⁾.

الحالات والعمليات الواعية داخلية بالمعنى المكاني العادي جدًا للكلمة، إذا هي تجري في داخل جسمي، وفي داخل دماغي، تمامًا كما لا يمكن لسيولة الماء أن توجد خارج الماء وبمعزل عنه، أو صلابة الطاولة بمعزل عن الطاولة، فالوعي يحدث بالضرورة في داخل جهاز عضوي أو نظام معين آخر، والوعي أيضًا داخلي بمعنى ثانٍ، وذلك هو أن أية حالة من حالاتنا العقلية لا توجد إلا بوصفها عنصرا في متوالية من تلك الحالات، لا يمتلك المرء حالات واعية كالألام والأفكار إلا بوصفها جزءا من صلب مخاض الحياة الواعية، ولكل حالة منها هوية تتميز بها من خلال علاقاتها بالحالات الأخرى، على سبيل المثال، فكرتي عن سباق تزلج خضته منذ مدة بعيدة لا تكون تلك الفكرة بالذات إلا بسبب موقعها في شبكة معقدة من الأفكار والتجارب والذكريات، فتتربط حالاتي العقلية داخليا ببعضها، بمعنى أن الحالة العقلية لكي تكون تلك الحالة نفسها وتتمتع بخصائصها ذاتها يجب أن تبرز في علاقة معينة مع الحالات الأخرى، تمامًا كما أن منظومة الحالات بأسرها يجب أن تتربط مع العالم الواقعي، على سبيل المثال، إذ كنت أتذكر فعلا الجري في سباق التزلج، إذا فلا بد أنني قد جريت فعلا في سباق التزلج، لا بد أن الجري في سباق التزلج ذلك هي الذي يتسبب في ذكري الحاضرة عنه، هكذا تنطوي الأنطولوجيا، أي وجود حالاتي الواعية نفسه على كونها جزءا من متوالية من الحالات الواعية المعقدة التي تشكل حياتي الواعية⁽¹¹⁹⁾.

(118)Ibid.p7.

جون سيرال : العقل، ص211.(119)

ثمة سؤال يتعلق بمفهوم الوعي العام للكائن هو ما إذا كان يمكن تحديده بـ "الحالات الواعية الدنيا" التي يمكن أن تنتج عن أشكال معينة من الضرر في الدماغ ؛ أو "التجربة الظاهرية الدنيا" التي يمكن أن تنشأ من خلال التأمل العميق. إذا كان أي من هذين النوعين من الوعي الأدنى ضمنى في كل شكل من أشكال التجربة الواعية ، حتى لو كنا نلاحظه بصعوبة في حالاتنا العادية ، فيمكننا أن نعتبره متطابقًا مع الوعي العام للكائن. ومع ذلك ، إذا كان هذا الوعي الأدنى ليس إلا حالة استثنائية ليس لها الكثير من الصلة بالحالات الواعية العادية الأكثر شيوعًا ، فيمكننا اعتباره مختلفًا تمامًا عن الوعي العام للكائن. في هذه المرحلة ، من الأفضل عدم تحديد الوعي العام للمخلوق مع الوعي الأدنى بأي نوع ، مما يترك هذه المسألة مفتوحة لمزيد من التحقيق. يمكننا استهداف وظائف الوعي الأدنى من خلال التركيز على المرضى الذين يعانون من أضرار في الدماغ أو متأملين مدربين، دون أن نفترض أنه مطابق للوعي العام للمخلوق. بالمثل ، يمكننا استهداف وظيفة الوعي العام للمخلوق عن طريق محاولة تحديد الوظيفة العامة المشتركة لجميع أنواع التجارب الواعية ، وربما تشمل تلك التي تقوم بها المخلوقات البدائية مثل الحشرات⁽¹²⁰⁾.

من الممكن تجسيد وعي الحالة بأشكال مختلفة أيضًا في الحالات والعمليات الإدراكية والعاطفية والمعرفية وغيرها من الحالات العقلية والعمليات. ستتغير وظائف وعي الحالة اعتمادًا على نوع الحالات والعمليات الواعية المستهدفة. على سبيل المثال ، قد تكون وظيفة حالة بصرية واعية هي تقديم معلومات بصرية لفروع المعرفة الأخرى على نطاق عالمي ، في حين قد تكون وظيفة عملية استدلال واعية هي نشر المعلومات غير الشكلية عبر النظام المفاهيمي. كما يشدد كل من كريجل وروزنتال على ضرورة الحذر من الخلط بين وظيفة محددة

(120)Nikawa,T,and others,p7.

مرتبطة فقط بنوع معين من الحالة الواعية أو العملية مع وظيفة مشتركة تشترك فيها جميع أنواع الحالات والعمليات الواعية. استراتيجية مشتركة في هذا النوع من الاستقصاءات هو استكشاف وظائف حالات وعمليات واعية محددة أولاً ، ثم استقراء أي وظيفة عامة تشترك فيها (121).

والحالات الواعية نوعية ، بمعنى أن هناك طريقة معينة تشعر بها كل حالة واعية ، أو أن هناك خاصية نوعية معينة لها ، وقد صاغ توماس ناجل هذه النقطة قبل سنوات بالقول إن لكل حالة واعية شيئاً محدداً تود أن تكون عليه في تلك الحالة الواعية (122) ، هناك شيء ما يميل إلى شرب الخمر الحمراء ، وهو شيء مختلف عما يميل إلى الاستماع للموسيقى ، بهذا المعنى ، ليس من المرجح أن يكون هناك شيء بود أن يكون بيتاً أو شجرة ، لأن هذه الكيانات ليست واعية .

والأهم في مناقشتنا ، إن الحالات الواعية ذاتية ، بمعنى أنها تجربها دائماً ذات إنسانية أو حية . ولذلك فالحالات الواعية تمتلك ما يمكن أن تسميه بـ "الأنطولوجية الحضورية" ، أي أنها لا توجد إلا من وجهة نظر فاعل معين أو عضوية معينة ، أو نفس حية تمتلك هذه الأشياء ، للحالات الواعية نمط وجود حضوري ، فلا يوجد الألم ، مثلاً إلا كما يجربه فاعل معين ، وبالتالي ذات معينة ، أما الكيانات الموضوعية كالجبال وغيرها فلها نمط وجود غيابي ، ووجودها لا يعتمد على كونها تجربها ذات ما (123) .

لقد تجلب الباحثون الخوض في موضوع الوعي سنوات الجديدة عند دراسة الدماغ والعقل ، وكانت النظرة السائدة أن العلم الذي يعتمد على الموضوعية لا يستطيع استيعاب شيء بهذا القدر من الذاتية subjectivity مثل الوعي ، فقد ركزت الحركة السلوكية في علم النفس ، التي سادت في بواكير القرن الماضي ، على السلوك الخارجي ، ولم تسمح بأي حديث عن العمليات العقلية

(121) Ibid.p7.

جون سيرال : العقل ، ص68(122)

لمرجع نفسه، ص ٦٩.(123)

الباطنة ، وبعدها أدي ظهور علم المعرفة cognitive Science إلى تركيز الانتباه على العمليات التي تجري داخل الرأس. أما الوعي فقد بقي خارج إطار التناول (124).

من نتائج ذاتية الحالات الواعية هي أن حالات وعي تتكشف لي بطريقة معينة ولا تنكشف لك ، استطيع أن أصل إلى آلامي تماما كما لا تستطيع أن تصل إلى آلامي ، ولكنك تستطيع أن تبلغ آلامك ، تماما كما لا أستطيع أن أبلغ آلامك وحين أقول "البلوغ أو "الوصول ، في الجملة السابقة ، فأنا لا أعني مجرد الوصول بالمعني المعرفي ، فلا تتعلق القضية بكوني أستطيع أن أعرف آلامي وأكيدها أفضل مما أعرف آلامك، بل على العكس، ففي بعض الإحساسات ، كالحسد والغيرة ، غالبا ما يكون الناس الآخرون في وضع أفضل لمعرفة الإحساس الذي يكابده الفاعل من الفاعل نفسه الذي يجرب ذلك الإحساس ، في مثل هذه الحالات، تعرف أحيانا إحساسات الآخرين أفضل مما تعرف إحساساتنا الخاصة، فلا يقتصر المعني الذي أصل به إلى حالاتي واختلافها عن حالات الآخرين علي كونه معرفيا في الأساس، إذ لا يتعلق الأمر بالكيفية التي أعرف بها وحدها ، بالرغم من أن للذاتية نتائجها المعرفية ، بل توجد كل حالة من حالاتي الواعية بوصفها تلك الحالة حصرا لأن من يجربها هو أنا ، هذه الذات ، وهكذا فهي جزء من متوالية من الحالات التي تشكل حياتي الواعية . رأينا في نقاشنا الطبيعية الداخلية للحالات الواعية (125).

لاحظ أن الوظيفة العامة لوعي الحالة قد يختلف بين أنواع الحيوانات المختلفة (أو بين أنواع مختلفة من الأنظمة المعرفية). يجب أن نكون حذرين في عدم المساواة بين وظائف وعي الحالة للبشر مع وظائف وعي الحالة لأنواع الحيوانات الأخرى وللحيوانات بشكل عام. هناك خطوات إضافية تحتاج إلى القيام بها لتحديد

ديفيد شالمرز: لغز الخبرة الواعية، ترجمة زياد القطبي، مصطفى أحمد زكي ، مجلة العلوم ، المجلد ١٣ ، العددان ٦،7 ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ، ١٩٩٧ ، ص (124)

وظيفة الوعي العام للحيوانات بشكل عام بوصفها متميزة عن وظائف الوعي العام لكل نوع من الحيوانات⁽¹²⁶⁾.
الترتيب التوضيحي

مفهوم وظائف الوعي غامض بالنسبة للترتيب التوضيحي بين الوعي والوظائف. هناك ما لا يقل عن طريقتين مختلفتين لتفسير هذا المفهوم. في التفسير الأول، يشير إلى "الأساس الوظيفي" للوعي: وظائف إدراكية تفسر بعض جوانب الوعي (مفهوم الأساس الوظيفي). في التفسير الثاني، يشير إلى "المساهمات الوظيفية" للوعي: وظائف إدراكية يتم تفسير وجودها بناءً على بعض جوانب الوعي (مفهوم المساهمة الوظيفية)⁽¹²⁷⁾.

دعنا نصيغ كل تصور بشكل أكثر وضوحًا. نحدد F بأنه يعني الوظيفة و C يعني الوعي ، وعبارة "بمقتضى" تعبر عن ترتيب التفسير. يرفض مفهوم الأساس الوظيفي بالتالي أن الوعي C قائم بالكامل بمقتضى الوظيفة F . عندما تكون هذه العلاقة التوضيحية سارية المفعول بين C و F ، يكون F هو الأساس الوظيفي لـ C . يرفض مفهوم المساهمة الوظيفية أن الوظيفة F قائمة بمقتضى الوعي C . عندما تكون هذه العلاقة التوضيحية سارية المفعول بين C و F ، يكون F هو المساهمة الوظيفية لـ C ⁽¹²⁸⁾.

هاتان الفكرتان ، الأساس الوظيفي والمساهمة الوظيفية ، غير متوافقتين إذا كانت C و F مثبتة تمامًا. في هذه الحالة ، إذا كنا نفسر C بمقتضى F ، فلا يمكننا أن نفسر F بمقتضى C دون الوقوع في دوامة تصور دائرية ضارة ، والعكس بالعكس. ومع ذلك ، يمكننا تطبيق هاتين الفكرتين بشكل صحيح على أنواع مختلفة من الوعي ، مثل وعي الكائن ووعي الحالة ، في نفس الوقت. على سبيل المثال ، يمكننا تطبيق مفهوم الأساس الوظيفي على وعي الحالة عن طريق ذكر أن الحالة العقلية تصبح واعية بمقتضى أداء دور معرفي معين ؛ في الوقت نفسه ، يمكننا تطبيق مفهوم المساهمة الوظيفية على وعي

(126)Nikawa,T,and others.p8.

(127) Ibid.p8.

(128)Ibid.p8.

الكائن عن طريق ذكر أن الكائن يكتسب إمكانية معينة بمقتضى وجود الوعي.

هذا التمييز بين الأساس الوظيفي والمساهمة الوظيفية مهم نظرياً حيث أن بعض الأسئلة يمكن الإجابة عنها فقط استناداً إلى أي من تصورات وظائف الوعي. كمثال ، يمكننا أن ننظر إلى سؤال أصل الوعي التطوري. في استكشاف هذا السؤال ، قد يبدأ الشخص بالجدل أو افتراض أن الوعي نجا في عملية الانتقاء الطبيعي لأنه كان له دوراً تكيفياً في التطور التاريخي. في هذه الحالة ، يُعتبر الدور التكيفي حاضراً بمقتضى وجود الوعي ، مما يعني أن هذا المنهج يفترض ضمناً مفهوم المساهمة الوظيفية⁽¹²⁹⁾.

إن التكيف هو المصطلح الذي اختارته الداروينية واستخدمته على مدار أكثر من مائة وخمسين عاماً أي منذ أن تم نشر كتاب أصل الأنواع. بحيث يصعب على البيولوجيين أن يفكروا في شيء من قبيل التكيف بدون إبراز نمطى التباين والانتخاب الواقعيين في تاريخه. ومع هذا لم يكن ذلك هو الحال دائماً. اعترف دارسو البيولوجيا فيما قبل داروين بأن هناك نوعين من التكيفات الموجودة في الطبيعة، بل وأرادوا تفسيرهما عن طريق مناشدة مصمم عظيم القوى. فأولاً، هناك تكيف أجزاء النظام البيولوجي مع بعضها بعضاً - وهو ما يتمثل في ملاءمتها وعملهما مع بعضهما بعضاً على نحو سلس يسير . وثانياً، هناك تكيف الأنظمة البيولوجية مع بيئاتها المختلفة - مثل السمات التي يكتسبها شكل الصبار حتى يلائم حياة الصحراء وكذلك فرو الدب القطبي الذي يلائم حياة القطب الشمالى⁽¹³⁰⁾.

وتنعكس مركزية التكيف في البيولوجيا في مفردات العلم والعديد من المصطلحات واللافتات والمحمولات (أى أسماء الملكية الوظيفية، وذلك على الأقل بحسب الخطاب المعاصر. بمعنى أن أغلب ما هو قائم في البيولوجيا لا يتم تعريفه من ناحية البنية ولكن من ناحية العلل

(129)Ibid.p8.

إليكس روزنبرج، دانيل ومالك شي، فلسفة البيولوجيا، ترجمة مينا ستي يوسف ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018، ص154. (130)

والآثار، وعلى نحو أكثر تحديدا تلك الآثار المنتخبة والعاكسة للتكيفات. وهكذا، لا يتم تعريف الجناح من ناحية تركيبه وبنيته، قل مثلاً ريشه لأن هناك العديد من الأجنحة التي ليس لها ريش، ولا من ناحية شكله؛ لأن الأجنحة لها العديد من الأشكال المختلفة، ولا حتى من ناحية حركاته عند الطيران فقد تعمل بعض الأجنحة عن طريق التحليق إلى أعلى، والبعض الآخر عن طريق إنتاج قوة دفع، وأخرى لا تقوم بهذا ولا ذاك. ولا يتم تعريف الأجنحة تشريحيًا فداخل الفقاريات توجد أجنحة الخفافيش وأجنحة الزواحف المجنحة وأجنحة السمك الطائر وأجنحة الطير التي تختلف جميعها حتى في تركيباتها الأساسية. ولكن يتم تعريف الجناح من ناحية ما يحدثه من أثر⁽¹³¹⁾. بالمقابل، لا يمكننا التعامل بشكل منطقي مع سؤال أصل الوعي التطوري إذا قمنا بالاستناد في استكشافنا إلى مفهوم الأساس الوظيفي. وفقًا لهذا المفهوم، فإن F هي وظيفة آليات تفسير C بدلاً من الوظيفة التي يؤديها C. ومع ذلك، فإن هذا الأمر قد يفسر بشكل مباشر لماذا نجا الوعي في عملية الانتقال الطبيعي. فإن مفهوم الأساس الوظيفي متوافق حتى مع فكرة الظواهر الفرعية، التي تعتبر الوعي مجرد نتاج فرضي لأساسه الوظيفي ويخلو من أي وظيفة تكيفية له بذاته. إذا كانت الظواهر الفرعية صحيحة، فإن الوعي بصفته لا يمكن أن يتم اختياره في عملية التطور التاريخي بمقتضى وظيفته المكيفة لأنه ليس لديه وظيفة في المقام الأول. بالتأكيد، حتى إذا كانت الظواهر الفرعية صحيحة، يمكننا أن نفسر بشكل غير مباشر لماذا تم اختيار الوعي إذا كنا نستطيع كشف كيفية مساهمة الأساس الوظيفي نفسه في بقاء حامله. ومع ذلك، لا يشكل ذلك تفسيرًا لسبب اختيار الوعي من حيث خصائصه الوظيفية الخاصة. وبناءً على ذلك، إذا أردنا فهم لماذا نجا الوعي في عملية الانتقال الطبيعي من حيث خصائصه

الخاصة ، فيجب أن نستند في تحقيقنا إلى مفهوم
المساهمة الوظيفية لوظيفة الوعي⁽¹³²⁾.

هل الوعي مرتبط بالإلكترون والكوارك ؟

لقد اختزلت التفاعلات بين الجسيمات لتصبح تفاعل جسيم
منفرد مع آخر، مثل هذا التفاعل جعل البعض يفترض
الوعي قد يكون مرتبط مع هذا التفاعل أو التصادم
الجسمي أو التفاعل الموجي بين هذه الجسيمات . ومهما
لعب الوعي أى دور في التفاعلات الخاصة بالجسيمات
الأولية وارتباطه بها ، فلا يمكن أن يكون وعينا
المرتبط بالوظائف المخية مرتبطاً بأحدث هذه التفاعلات.
ويعود المؤلف ويتساءل ماذا عن المكان والزمن ؟
فالتواصل بين الوعي والعمليات الفيزيائية لا يمكن
شرحه في ظل وجود محدودية فى الاحداثيات المستعملة .
وتوصيل الوعي يجب أن يتجسد فى كل المكان والزمان ،
وكل هذه الشروط لم تعطى شيء مشتركاً فى هذا المجال
الواسع ، ومدنا بالمعلومات التي نحتاجها فالزمكانية
بدون تمثيل للجسيمات والمجالات لا تعطينا أى أن نبحت
في موقع آخر⁽¹³³⁾.

كيف يرتبط الوعي مباشرة مع التركيب المعتاد للعالم
الفيزيائي ، هكذا يقوى المؤلف مثل الفراغ والزمن
والكتلة والجسيمات أو أى من القوى الأساسية الكونية .
بالطبع هناك اتصال مع كل هذه الأشياء (كل منها يعتبر
مادة لوعينا) . نحن نفترض أن الشيء الذى لم نأخذه في
الاعتبار هو بعض عمليات ميكانيكا الكم . ولا بد أن نجد
نقطة البداية للإجابة عن هذا اللغز المحير عن الوعي .
يجب أن نستطيع تحويل أفكار ميكانيكا الكم إلى معانى
حقيقية يمكن اختبارها والتنبؤ بالنتائج. فإن افترضنا
أن الوعي هو كمية غير فيزيائية لا يمكن قياسها ، نكون
قد خرجنا عن الموضوع وجعلنا العقل بعيداً عن دائرة
البحث العلمي. يقول المؤلف ، يجب علينا تحديد الأرقام
التي تعتبر البداية لاكتساب المعارف عن كينونة
الوعي . بواسطة هذه الأرقام يمكن تطوير النظريات التي

(132) Ibid,p5

محمد زكي عويس، فيزياء الوعي، المكتبة الأكاديمية، القاهرة،ص50.(133)

تساعدنا على فهم الظواهر الفيزيائية المرتبطة بالعقل . على سبيل المثال يمكننا قياس «الغضب» ، فبدلاً أن نقول أننا نشعر أكثر غضباً الأمس يمكن القول كنا أكثر غضباً عنه في اليوم السابق ، وقد يستمر هذا الغضب الشديد إلى صباح غد . نلاحظ هنا وجود أربعة درجات للقياس، اثنين منهما يمكن استعمالهما لقياس الغضب ، أنه مقياس نسبي كما تعلمنا من أينشتين عن ضرورة القياس كدالة في الزمن والفراغ⁽¹³⁴⁾ .

(الآن) دعنا نتحدث عن أي نوع من الأرقام تكون مرتبطة بالوعي . أننا نبحث أولاً عن نتائج تربط بين التأثير الفيزيائي على المخ الذي ينتج عنه ممارسة الوعي ، ثم نسجل رد الفعل لممارسة الوعي وقياس نوع وسعة التفاعل الكهربائي على المخ ، أو أي شيء مرتبط به .

فما يحدث للمخ ما هو إلا تغيير في منسوب أنشطته والتي يمكن أن يرتبط بأعداد تصف لنا مقدار مستوى هذا النشاط والتي تساهم في تضيق دائرة البحث عن ميكانيزم الوعي . فالوعي ما هو إلا ظاهرة نوبية⁽¹³⁵⁾ .

إحدى هذه النوبات متعلق بطريقة نوم الوعي . ففي الأحلام ، يكون الفكر نائماً ، ويكون العقل غير متيقظ ، وهذا يعتبر إحدى ممارسات الوعي ، وهناك بالطبع أنواع مختلفة من الوعي ، تختلف في المحتوى والكثافة . والجدير بالذكر أن التغير في أنشطة المخ بين النوم والإدراك يمكن التحكم به عن طريق التراكيب المخية والتي تسمى بالبناء الشبكي». وبالقطع يوجد بالمخ بعض من الدوائر الذكية التي تتحكم في استيقاظه وتبادل الرسائل بين أجزائه العديدة⁽¹³⁶⁾ .

فالنوبة هي البداية ، وعندما تفكر في الوعي ، تنتبه إلى وجود كميات أخرى وتتساءل ما هو العمق الفيزيائي للوعي وما هي حدوده ؟ وبعيداً عن الحماسة . الفلسفية والمعتقدات الميتافيزيقية ، يكون سؤالنا ذو معنى ،

المرجع نفسه، ص51.(134)

المرجع نفسه، ص52.(135)

المرجع نفسه، ص53.(136)

أنا نرغب في معرفة العمليات الفيزيائية لرسم حدود الوعي⁽¹³⁷⁾.

إذا كان هدفنا هو الإجابة عن سؤال كيف يحدث الوعي في نظام فيزيائي من خلال استكشاف وظائف الوعي ، فيجب أن نستند إلى مفهوم الأساس الوظيفي: تكون C في المكان بفضل F . يتيح لنا هذا المفهوم أن نشرح كيف يحدث C في نظام فيزيائي عن طريق تحديد F وكشف كيفية تحقيق F من خلال الهيكلية الفيزيائية. ومع ذلك ، هذه الاستراتيجية لا تعمل إذا قبلنا مفهوم المساهمة الوظيفية ، وفقاً لهذا المفهوم ، يكون F في المكان بفضل C . حتى لو نجحنا في تحديد المساهمة الوظيفية للوعي بنجاح ، فإننا لا يمكن أن نشرح كيف يحدث الوعي في نظام فيزيائي من خلال كشف كيفية تحقيق المساهمة الوظيفية من خلال الهيكلية الفيزيائية. يرجع ذلك إلى أن المساهمة الوظيفية تستند إلى وجود الوعي ، ونحن لا يمكن أن نحدد كيف تتحقق المساهمة الوظيفية للوعي في نظام فيزيائي بدون معرفة كيف يتحقق الوعي في النظام الفيزيائي في المقام الأول ، مما يعيدنا إلى السؤال الأصلي. بالتالي ، تحديد المساهمة الوظيفية للوعي لا يساعدنا في التعامل مع سؤال كيف يحدث الوعي في نظام فيزيائي⁽¹³⁸⁾.

قد يشك البعض في أن التمييز بين مفهوم الأساس الوظيفي ومفهوم المساهمة الوظيفية سينهار إذا قبلنا الرؤية الوظيفية للوعي ، وفقاً لهذا المفهوم ، فإن C متطابق مع F . نظراً لأن العلاقة المتطابقة هي علاقة مقارنة والعلاقة الناشئة في الأساس هي علاقة غير مقارنة ، يبدو أنه إذا استمرت العلاقة المتطابقة بين C و F ، فإن الأول لا يمكن أن يشرح الأخير والعكس بالعكس. بالإضافة إلى ذلك ، فإن الرؤية الوظيفية للوعي تسمح لنا بالتعامل بشكل منهجي مع أسئلة أصل الوعي التطوري والأساس الفيزيائي للوعي. وهذا يعني أنه يمكننا التعامل بشكل منهجي مع سبب اختيار الوعي من قبل

المرجع نفسه، ص53. (137)

(138) Nikawa, T, and others. p8.

الانتخاب الطبيعي من خلال استكشاف كيف ساهمت الوظيفة في مضيها ، وكيف يتحقق الوعي في نظام فيزيائي من خلال استكشاف كيفية تنفيذ الوظيفة بواسطة النظام الفيزيائي. هذا هو منهج بحث بسيط وفعال. بالتالي ، قد يقترح البعض أنه إذا كانت الرؤية الوظيفية للوعي صحيحة ، فإن التمييز بين الأساس الوظيفي والمساهمة الوظيفية ليس له أهمية نظرية⁽¹³⁹⁾.

للتعامل مع هذا الشك ، نؤكد أولاً أنه يمكننا تطبيق مفاهيم مختلفة للعلاقة بين الوعي والوظيفة على أنواع مختلفة من الوعي. كما هو موضح أعلاه ، على سبيل المثال ، يمكننا تطبيق مفهوم الأساس الوظيفي ومفهوم المساهمة الوظيفية على وجه التحديد لوعي المخلوقات ووعي الحالة. نظرًا لذلك ، من الممكن تبني رؤية الهوية الوظيفية لوعي الحالة ، لأن الحالات العقلية الواعية متطابقة مع أدوارها الوظيفية ، بينما يتم تطبيق مفهوم المساهمة الوظيفية على وعي المخلوقات. على نفس النحو ، يمكن تبني رؤية الهوية الوظيفية لوعي المخلوقات ، لأن كل تجربة واعية متطابقة مع القدرة الإدراكية المقابلة لها ، بينما يتم تطبيق مفهوم الأساس الوظيفي على وعي الحالة. وبالتالي ، حتى لو طبقنا رؤية الهوية الوظيفية على بعض أنواع الوعي ، سيكون هناك مجالاً لتطبيق فكرة أخرى للوظيفة على أنواع أخرى من الوعي⁽¹⁴⁰⁾.

يرى شالمرز أن الخبرة الواعية هي أكثر الأشياء نحن على ألفة بها في حياتنا إلا أنها في الوقت نفسه أكثرها غموضاً. ما هو هذا الوعي؟ لم يوجد؟ كيف ينشأ عن المادة الرمادية الموجودة في المخ؟ نحن نعرف الوعي أكثر من أي شيء آخر في الوجود ولكننا نفهم الأشياء الأخرى في العالم أفضل بكثير مما نفهم الوعي⁽¹⁴¹⁾.

من هنا فإنه من الصعب تعريف الخبرة الواعية بأفكار أكثر أولية منها، إلا أننا يمكننا تعريف - أو تحديد -

(139)Ibid.p8.

(140)Ibid.p8.

(141)Chalmers, David, *The Conscious Mind*, Oxford University Press, 1996, p. 3.

موضوعها، ألا وهو الخاصية الذاتية للخبرة. فلكي نحصل على خبرة معينة، نحن ندخل علاقة عليّة مع العالم الخارجي، إلا أن هناك جانبا ذاتيا للخبرة ألا وهو الشعور المصاحب للإدراك، على هذا النحو يمكن القول أن شخصا في حالة وعي متى كان لديه هذا الشعور ونقول عن حالة عقلية أنها حالة واعية متى كان هناك شعور بها. هذه الخصائص التي يتم الشعور بها تسمى أيضا الخصائص الظاهرية phenomenal qualities. تكمن مشكلة تفسير الوعي في مسألة تفسير هذه الخصائص الظاهرية. هذه المشكلة يراها شالمرز أصعب جزء في مشكلة العلاقة بين العقل والجسد⁽¹⁴²⁾.

يمكن تلخيص المشكلة كما يراها شالمرز على النحو التالي: مخ الإنسان نسق معقد، يمكن معرفة كيف يحول هذا النسق المعلومات التي يتلقاها إلى معارف ولغة هذه جميعها وقائع فيزيائية يمكننا معرفتها وليست في حاجة منا إلى افتراض وجود خبرة واعية ولكن المشكلة أن لدينا معرفة ذاتية مباشرة بأن هناك خبرة واعية معرفة لا يمكن الوصول إليها فقط من وقائع الفيزياء هذه، كما أنه لا يمكن إنكارها. كيف يمكن تقديم تفسير طبيعي natural لهذه الخبرة الواعية من حيث أنها ظاهرة طبيعية تمثل جانبا من العالم الطبيعي؟.

لتقديم هذا التفسير نحن في حاجة للإجابة عن سؤالين:

- هل الوعي ذاته ذو طبيعة فيزيقية أم يأتي مصاحبا لأنساق فيزيقية؟ وما مدى الوعي؟ بمعنى ما هي الكائنات الأخرى الواعية إلى جانب الإنسان؟
- السؤال الثاني: لم يصاحب بعض العمليات الفيزيكية وعي؟ فالصوت الذي يتذبذب في الهواء لتصل الموجة الصوتية للأذن التي تتحول إلى ترددات داخل الأذن ثم إشارة يتم إرسالها إلى المخ، ثم يتم حذف بعض جوانب من هذه الإشارة ثم تحدث الاستجابة كل هذا مفهوم، ولكن السؤال: لم يصاحب الوعي هذه

العمليات بل وكيف ينشأ. الإجابة عن هذا السؤال يراها شالمرز هامة وذلك حتى تقدم لنا تفسيراً معقولاً مقبولاً عقلياً لكيفية نشأة الوعي.

هذان السؤالان هما ما يرى شالمرز ضرورة أن تجيب عليهما أي نظرية في الوعي. ولكن ما طبيعة هذه النظرية؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه الآن⁽¹⁴³⁾.

يرى شالمرز أنه من الضروري بداية أن نميز - ولو من الناحية التصورية على الأقل - بين ما أسماه العقل الظاهر والعقل السيكولوجي، لا يمكن وفقاً لشالمرز - رد العقل لأي جانب واحد فقط من هذين الجانبين. حجته في ذلك أنه إذا كان لدى العلم الإدراكي الحديث الكثير ليقوله عن العقل بصفة عامة، فإنه ليس لديه تقريباً شيء يقوله عن الوعي، فالوعي يقع خارج مجال قدرته على التفسير العلم الإدراكي يهتم أساساً بتفسير السلوك ومن هنا فإنه يهتم بدراسة العقل كمفسر للملوك أو من حيث أنه الأساس الداخلي للسلوك، ويهتم بدراسة الحالات العقلية من حيث أنها تساعد في تفسير السلوك. هذه الحالات العقلية وفقاً للعلم الإدراكي قد تكون حالات واعية أو غير واعية، فالحالة الداخلية وفقاً للعلم الإدراكي المسببة للسلوك حالة عقلية سواء كانت حالة واعية أو ليست واعية⁽¹⁴⁴⁾.

قد يتساءل البعض ماذا ينبغي أن نفعل بشأن الرؤية الشاملة للهوية الوظيفية الكاملة، وفقاً لهذه الرؤية، يتطابق كل نوع من أنواع الوعي مع وظيفته. إذا كانت هذه الرؤية صحيحة، فإن التمييز بين مفهوم الأساس الوظيفي ومفهوم المساهمة الوظيفية لا يلعبان أي دور نظري. ومع ذلك، رفع الفلاسفة العديد من الاعتراضات على الرؤية الشاملة للهوية الوظيفية. على سبيل المثال، يقوم كريجل بالتشكيك في الرؤية الشاملة للهوية الوظيفية من خلال التركيز على التمييز بين الخاصية الوظيفية وأساسها المجزأ، مدعياً أن الوعي

(143)Ibid, p.5

(144)Ibid, p.11

نقلًا عن بهاء درويش: ص23.

الظاهري يجب أن لا يعتبر وظيفة ولكن يعتبر أساسه
المجزأ. وجادل تشالمرز ضد الرؤية الشاملة للهوية
الوظيفية بالقول إن التفسير الاختزالي للوعي الظاهري
بوصفه بمصطلحات وظيفية لا يعمل. يمكن القول على الأقل
أنه يجب علينا ألا نعتمد بسذاجة على الرؤية الشاملة
لهوية الوظيفية دون أن نكون قادرين على الدفاع عنها
من هذه الاعتراضات. قد نكون قادرين على الدفاع بشكل
مقبول عن رؤية الهوية الوظيفية الجزئية التي تؤكد أن
نوعاً محدداً من الوعي متطابق مع وظيفته، ولكن الأمر
يصعب بكثير في النسخة الكلية. بناءً على ذلك ، يجب أن
نعتبر مفهوم الأساس الوظيفي ومفهوم المساهمة الوظيفية
كخيارات متميزة محتملة لتعريف العلاقة بين الوعي
والوظيفة دون الافتراض عن الرؤية الكلية للهوية
الوظيفية (145).

نسعى إلى تحديدات معلوماتية لوظائف الوعي. عند
استكشاف الوظائف الضرورية للوعي ، يجب أن نسعى إلى
وصف أقصى قدر ممكن. وعلى العكس من ذلك ، عند استكشاف
الوظائف الكافية للوعي، يجب أن نسعى إلى وصف أدنى
قدر ممكن. في الواقع ، تلتزم العديد من نظريات وظائف
الوعي بهذا المبدأ في تحقيقاتها (146).

يشير تشالمرز " بشكل شهير إلى مشكلة كيف يولد العالم
الفيزيائي عموماً الكوليا باعتبارها المشكلة الصعبة ،
حيث الكوليا لا وظيفة لها ، فلن يكون هناك تصير مختزل
للمشكلة الصعبة بمصطلحات المشكلة السهلة. في حين يرى
كريستوف كوتش أنه تفكير غير مقنع مجرد أن شخصاً لا
يستطيع تخيل. وظيفة للكوليا ، لا يتضمن أنها بلا
وظيفة. كل ما يعنيه ذلك أن الإطار التصوري للشخص ليس
كافياً (147).

إذا وضعنا في الاعتبار الصفات الكثيرة المميزة التي
تشكل مدركاً والعلاقات الكثيرة المناسبة بينها ، ندرك
تطور المشاعر الظاهرية للتعامل مع هذه التعقيدات
المصاحبة للتعامل مع كل هذه المعلومات في زمن حقيقي

(145) Nikawa, T, and others. p9.

(146) Ibid. p9.

نهال علاء: العقل والعلم المعرفي عند جون سيرال، رسالة دكتوراة، كلية الآداب جامعة قناة السويس، 2016 ص 280. (147)

الكوليا Qualia تصورات رمزية قوية لقدر رهيب من هذه المعلومات متزامنة مرتبطة بمدرك - معناه الكوليا خاصة لشبكات التغذية الرجعية .. المتوازنة بدرجة كبيرة ، المتطورة لتمثيل بشكل فعال اقتضاض البيانات من النشاط المتأجج الارتباطات العصبية للوعي ومن الإطار المصاحب ينبثق كولي quale هذا اللون (148) . لاحظ أن الوظيفة الضرورية القصوى للوعي لا تتداخل بالضرورة مع الوظيفة الكافية الأدنى للوعي. أولاً ، قد لا تكون الوظيفة الضرورية القصوى للوعي كافية للوعي. قد يكون هناك مجموعة متعددة من الشروط الممكنة للتمكين ، يجب أن تتم أحدها لحدوث الوعي ولكن لا يكون أي منها ضرورياً للوعي (مما نسميه إمكانية الشروط الممكنة المتضاربة). في هذه الحالة ، إذا لم يتم تلبية أي من شروط التمكين المتعددة ، فإن الوعي لا يحدث على الرغم من تحقيق الوظيفة الضرورية القصوى للوعي. ثانياً ، قد لا تكون الوظيفة الكافية الأدنى للوعي ضرورية للوعي. ربما هناك بعض الطرق لتحقيق الوعي بشكل وظيفي (أي يكون هناك مجموعات مختلفة من الوظائف الكافية الدنيا للوعي) دون أن يتم مشاركة أي عنصر وظيفي بين جميع حالات الوعي (مما نسميه إمكانية التحقيق المتعدد). ما إذا كانت هناك وظيفة محددة ضرورية وكافية للوعي لا يزال سؤالاً مفتوحاً (149) .

هذا السؤال يحتاج إلى إجابة لدعم وجهة نظر الهوية الوظيفية ، وفقاً للتي تفترض أن هناك وظيفة ضرورية وكافية للوعي لأن العلاقة بين الهوية بين X و Y تعني أن X ضروري وكافي لـ Y . ومن ثم ، يحتاج مؤيدو وجهة النظر الوظيفية للجدل ضد كل من إمكانية الشروط المعطلة المذكورة أعلاه والتحقيق المتعدد الشديد (150) .

الإطار ثلاثي الأبعاد وفائدته
مما سبق، اقترحنا إطاراً ثلاثي الأبعاد لدراسة وظائف الوعي. وفقاً لدورنا، يمكن تصنيف النظريات في هذا المجال من حيث:

المرجع نفسه: ص 280(148)

(149) Nikawa, T, and others. p9

(150) Ibid. p9.

(i) الهدف: أي مفهوم من مفاهيم الوعي يفترضونها في تحديد الهدف التوضيحي لديهم: وعي المخلوق أم وعي الحالة وأنواع محددة أو عامة من الوعي.

(ii) الترتيب التوضيحي: أي علاقة تفسيرية بين الوعي والوظيفة يقترحونها، أي افتراض الأساس الوظيفي أو افتراض المساهمة الوظيفية.

(iii) الضرورة/الكفاية: أي علاقة بين الوعي والوظيفة يحددونها، أي وظيفة (قصوى) ضرورية للوعي أو مجموعة (أدنى) من الوظائف الكافية للوعي⁽¹⁵¹⁾.

يمكن أيضاً استخدام هذا الإطار ثلاثي الأبعاد لتوضيح النظريات الحالية حول وظائف الوعي. يمكننا تحديد الغموض النظري في هذه النظريات ضمن إطارنا. على سبيل المثال، لاحظنا أن ديهان (2014) وكاناي و آخرون (2019) غامضان في البُعد الذي يُسمى "ترتيب التفسير". يضع هذا الاكتشاف ضغطاً على المؤرخين لـ إزالة الغموض حول نوع الوعي الذي تستهدفه نظريتهم والعلاقة التفسيرية بين الوعي والوظيفة التي يُفترض بها. تساعد هذه العملية على رؤية التحديات النظرية التي تحتاج إلى معالجتها نظرياتهم. هذه الوظيفة التوضيحية هي الدور المقصود لإطارنا⁽¹⁵²⁾.

بينما تكون بعض النظريات حول وظائف الوعي غامضة فيما يتعلق بأحد الأبعاد أو أكثر، يندرج البعض الآخر تماماً في إطارنا. على سبيل المثال، تقدم نظرية supramodular interaction theory لمورسيلا (2005) بأن الحالات الواعية "تسمح للمعلومات من مصادر متنوعة بالتفاعل لإنتاج إجراءات متكيفة" و"هي مطلوبة لتفاعل مخرجات نظم الاستجابة المختلفة". يشير هذا إلى أن نظرية supramodular interaction theory (i) تستهدف وعي الحالة، (ii) تستكشف المساهمة الوظيفية لوعي الحالة، و (iii) تسعى لتحديد وظائف تكفي لوجود الحالات الواعية⁽¹⁵³⁾.

(151)Ibid.p9.

(152)Ibid.p9.

(153)Ibid.p9.

من خلال تحديد هذه النظريات القائمة في إطارنا، يمكننا أيضًا توضيح العلاقة بينها. على سبيل المثال، يقول روزنتال (2008) إنه ليس هناك وظيفة مهمة للوعي. وعلى الجانب الآخر، يؤكد كريجل (2004) أن وظيفة الوعي هي أن يُقدم للشخص ما يكفي من المعلومات لمعرفة كيفية الحصول بسهولة على تفاصيل أكثر حول تجربته الحالية. في المقام الأول، يبدو أن هاتين الفكرتين تتعارضان مباشرة. ومع ذلك، تستهدف نظرية روزنتال (2008) (i) وظيفة الوعي الحالة بصفة خاصة لأنواع غير حسية، (ii) تستكشف المساهمة الوظيفية لوعي الحالة، و (iii) تسعى لتحديد وظائف تكفي لوجود الحالات الواعية. وبالمقابل، تستهدف نظرية كريجل (2004) (i) وظيفة الوعي لأنواع العامة من الكائنات، (ii) تستكشف المساهمة الوظيفية لوعي الكائنات، و (iii) تسعى لتحديد وظائف تكفي لوجود وعي الكائنات. في ضوء ذلك، يمكننا أن نرى أن روزنتال (2008) وكريجل (2004) ليستا في تعارض مباشر، لأن الأولى تتناول أنواع وعي الحالة غير الحسية والدور الإدراكي على المستوى الشخصي الفرعي المقابل، والثانية تتناول وعي الكائنات والقدرة المقابلة على المستوى الشخصي⁽¹⁵⁴⁾.

وفقا لروزنتال، فإن الحالة العقلية تكون واعية عندما يكون لدى الشخص المعني فكرة مناسبة من الدرجة العليا كونها فكرة من المفترض أن تستبعد في المقام الأول، أنها حالة شبه إدراكية.

هناك تقليد هناك تقليد طويل، مشيد من لوك من تفسير جهاز المراقبة على أنه مماثل في الجوانب الأساسية لجهاز الحس (وبالتالي فهو نوع من الحس الداخلي) وبالتالي ينتج حالات عقلية مشابهة بشكل كبير للتمثيل الإدراكي والتي يمكن أن تسمى شبه إدراكية. ويؤيد هذا النوع من النظرية الإدراك الأعلى درجة اليوم أرمسترونج. ويعتقد روزنتال أن هذا خطأ وأن حالات المرتبة العليا التي تمنح الوعي ليست مماثلة للتمثيل

الحسية. بل إنها حالات فكرية أو إدراكية - أي الأفكار⁽¹⁵⁵⁾.

وهناك خاصية أخرى للأفكار بالإضافة إلى كونها غير إدراكية وهي كونها مؤكدة للحالة وهذا يتناقض fit الجازمة هي تلك التي لديها اتجاه جمالي، أو من العقل إلى العالم من مع الدول (مثل الرغبة والأمل، وعدم الموافقة، وما إلى ذلك التي لديها في المقام الأول اتجاه تلاؤم أو العالم إلى العقل السمة الثالثة للأفكار على الأقل النوع المناسب لمنح الوعي - هي أنها حالات عقلية موقعية⁽¹⁵⁶⁾.

وبشكل أساسي، يجب أن يكون الفكر ذو المستوى الأعلى المناسب غير استنتاجي، حيث أنه لا يمكن أن يكون نتيجة لاستدلال واعي من حالة المستوى الأدنى أو من أي حالة أخرى⁽¹⁵⁷⁾.

لا شك أن الفكرة تتشكل من خلال عملية ما لمعالجة المعلومات ولكن هذه العملية لابد وأن تكون تلقائية وغير واعية، والغرض من ذلك هو أن يعكس الطابع الفوري أو على الأمل الشعور الفوري لوعينا بأحوالنا الواعية حقيقة أن تجربتي للسماء تعني أنني أدرك بطريقة ما حدوثها ، ولكن ليس أي نوع من الوعي من شأنه أن يفعل أشكال من الوعي لا يمكن أن تمنح حالة الوعي ! لأهدافهم.

إحدى الخصائص الأخيرة التي ينسبها روزنثال إلى التمثيل "المناسب" من المستوى الأعلى هي أنه يمثل حالة المستوى الأدنى كحالة من الذات. ويجب أن يكون مضمونه، كما يطلق عليه ذلك أحيانا من حيث المضمون. لذا فمحتوى التمثيل الأعلى رتبة لتجربتي الواعية للسماء ليس مجرد شيء مثل هذه التجربة المزقة تحدث، ولكن بالأحرى شيء مثل أنا نفسي لدي هذه المزقة⁽¹⁵⁸⁾.

دعنا نناقش بإيجاز كيف يمكن تحديد نظرية المعلومات المتكاملة (IIT) للوعي ضمن إطارنا. نفسر IIT على

(155)Ibid, P46.

جون سيرال : العقل، ص212.(156)

(157)Ibid, P46.

المرجع نفسه، ص121. (158)

أنها (i) تستهدف وعي الحالة، (ii) تستكشف أساسه الوظيفي، و (iii) تحاول تحديد الدور الوظيفي الضروري والكافي له. بحسب IIT، يكون لدى مجمع مادي وعي عندما يكون لديه أعلى قيمة محلية للمعلومات المتكاملة، والتي تمثل درجة التفريق والتكامل بين أجزائه. يفترض أن يتم تفسير الوعي من خلال الدور الوظيفي للنظام في تكامل المعلومات على المستوى الشخصي الفرعي. بعبارة أخرى، تستهدف IIT وظيفة وعي الحالة، مفترضة المفهوم الوظيفي الأساسي. بالإضافة إلى ذلك، تعني "الهوية المركزية" في IIT أن المعلومات المتكاملة ضرورية وكافية للوعي⁽¹⁵⁹⁾.

في الختام، يمكن لإطارنا ثلاثي الأبعاد أن يمهد الطريق نحو نظرية موحدة لوظائف الوعي من خلال تمكين توضيح وتصنيف ومقارنة النظريات القائمة بطريقة منهجية. على الرغم من أن من الصعب تحقيق ذلك في هذا الفصل لكل نظرية لوظائف الوعي، فقد قدمنا فكرة ذلك من خلال تطبيق الإطار على بعض النظريات، مثل النهج الظاهري، ونظرية المساحة العامة الكلية، ونظرية إنشاء المعلومات⁽¹⁶⁰⁾.

المقالات العلمية غالبًا ما تكون فترة صلاحيتها محدودة، لكن بعد مرور عشرين عامًا، لا يوجد تاريخ انتهاء محدد لمقالة جوان سكوت "الجندر: فئة مفيدة للتحليل التاريخي". وتشهد الأرقام من JSTOR على شهرتها المتينة. من بين جميع المقالات في American Historical Review على JSTOR، كانت مقالة سكوت هي التي حظيت بأكبر عدد من الزيارات. منذ أن بدأت JSTOR في نشر المقالات العلمية عبر الإنترنت في عام 1997، قام المستخدمون بالوصول إلى "الجندر" أكثر من 38,000 مرة وطبعوا أكثر من 25,000 نسخة منها. على مدى الخمس عشر سنة الماضية، حافظت على المرتبة الأولى باعتبارها المقالة الأكثر مشاهدة والأكثر طباعة في مجلة AHR في JSTOR⁽¹⁶¹⁾.

المرجع نفسه، ص122. (159)

المرجع نفسه، ص122. (160)

(161) Meyerowitz, J. (2008). A history of "Gender". The American Historical Review, 113(5), 1346-1356.

ما الذي يرفع قيمة المقال؟ ما هي السمعة التي تجعل مقالة قراءة إلزامية لأكثر من ربع قرن؟ بالجزء الأكبر، قد يكون الأمر متعلقاً بالبنية. بنت سكوت "الجندر" باستخدام بناء إبداعي للحجج. في مقالة واحدة موجزة، نجحت في تلخيص ظهور تاريخ الجندر، وتقديم نقد للنظريات السابقة حول خضوع المرأة، وإدخال المؤرخين إلى أساليب التفكيك، ورسم خارطة للدراسات التاريخية المستقبلية. ولكن كما نعلم جميعاً، فإن السمعة الأكاديمية تركز على أكثر من مجرد حجة تم بناؤها بشكل جيد، حتى عندما يتم عرض الحجة بشكل ممتاز في مجلة أكاديمية عالية المستوى. الطريقة الأكثر تأكيداً لشرح نص هي وضعه في السياق التاريخي. وبالتالي، قد يساعد تاريخ قصير لـ "الجندر" المقالة في تقييم صعودها إلى الشهرة وتأثيرها داخل حقل التاريخ الأمريكي. وتاريخ أقصر حتى لمفهوم "الجندر" يمكن أن يشير إلى المساهمة التي ستدوم لفترة أطول في الفكر الاجتماعي الأمريكي⁽¹⁶²⁾..

تعريف النسوية

حركة سعت إلى تغيير المواقف من المرأة ما ، قبل تغيير الظروف القائمة، وما تتعرض إليه النساء من إجحاف كمواطنات على المستويات القانونية والحقوقية في العمل والتشارك في السلطة السياسية والمدنية⁽¹⁶³⁾. "إنها إلزام بإجتثاث أيديولوجية الهيمنة التي تتخلل الثقافة الغربية على مختلف المستويات - الجنس والعرق والطبقة، وهذا غيض من فيض - وإلزام بإعادة تنظيم المجتمع الأمريكي بحيث يمكن أن يكون للتنمية الذاتية للشعب الأسبقية على الإمبريالية والتوسع الإقتصادي والرغبات المادية⁽¹⁶⁴⁾."

وعرفها الفيلسوف الإنجليزي المعاصر سيمون بلاك بيرن Simon Black Bourn بأنه "منهج دراسة الحياة الاجتماعية والفلسفية وعلم الأخلاق، يلتزم أصحابه بتصحيح انحرافات التحيز التي تؤدي إلى إحلال المرأة

(162) Ibid.p1345

٢٠٠٦، ص ١٤ ساره جاميل، النسوية وما بعد النسوية ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، (163)

ويندي كيه كولمار فرنسيس بارتكوفسكي، النظرية النسوية - مقتطفات مختاره، ترجمة عماد إبراهيم، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٠، ص ٢١. (164)

في مكانة التابع (أى في مكانة ثانوية) وإلى الغض من قيمة الخبرة الخاصة بالمرأة وإستصغار شأنها⁽¹⁶⁵⁾. فهي جهد نظري وعملي يراجع بالنقد والتعديل الأنساق السائدة في بنية المجتمع، حينما يكون الرجل هو المركز الفاعل والإنسان الحائز على الأهلية والمرأة جنسا ثانيا، مقيدا ومحدود في منزلة الأدنى لتتصف الحضارة البشرية بأنها ذكورية المنشأ في شتى نواحيها مما تساعد تلك الخلاصة في توطيد سلطة الرجل وتبعية المرأة فتبخس خبراتها وتمنع من المشاركة⁽¹⁶⁶⁾. النسوية فلسفة نقدية للحضارة، حيث بدأت الإرهاسات الأولى للحركة النسوية في بريطانيا في حركة المطالبة بحق النساء في الاقتراع والانتخاب بزعامة ميليسنت فوست» وتأسيس الاتحاد السياسي والاجتماعي للنساء عام ١٨٨٧م بقيادة «إيلين» و «كريستال ثانكوا هورست»، وتبلورت في أعقاب حداث الطلبة الشهيرة عام ١٩٩٨م في فرنسا وهي الأحداث والمظاهرات التي امتدت إلى بلاد أوروبية وغير أوروبية⁽¹⁶⁷⁾.

اشتق مصطلح «النسوية» من الكلمة اللاتينية «فيمينا» التي تعني «المرأة» واستخدم لأول مرة فيما يتعلق بقضايا المساواة وحركة حقوق المرأة. يعرّف القاموس الإنجليزي أكسفورد «النسوية» على أنها حالة أنثوية. يعرّف قاموس ويبستر مصطلح «النسوية» على أنه مبدأ أن المرأة يجب أن تتمتع بحقوق سياسية مساوية لحقوق الرجل. تقول توريل موي إن «الكلمات» نسوية «أو» نسوية «هي تسميات سياسية تشير إلى دعم أهداف الحركة النسائية الجديدة التي ظهرت في أواخر الستينيات». وبالمثل، يجادل سيمون دي بوفوار بأن المصطلحات الذكورية والأنثوية تستخدم بشكل متماثل فقط كمسألة شكلية في الأوراق القانونية⁽¹⁶⁸⁾.

سعيد بن بوزة الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، رساله لنيل درجة الدكتوراة، إشراف د. الطيب بونرياله جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ٢٠٠٨، (165) ص ٥٨.

عبدالله إبراهيم: السرد النسوي، بيروت، 2011، ص12. (166)

ليندا جين شيفرد أنثوية العلم - العلم من منظور الفلسفة النسوية، ترجمة يمني طريف الخولي، عالم المعرفة (٣٠٦) الكويت، ٢٠٠٤م، ص١٨. (167)

يمني الخولي النسوية وفلسفة العلم، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤، ص ١١. (168)

النسوية :في أصولها حركة سياسية تهدف إلى غايات إجتماعية ، تتمثل في حقوق المرأة وإثبات ذاتها ودورها ، والفكر النسوي بشكل عام أنساق نظرية من المفاهيم والقضايا والتحليلات تصف وتفسر أوضاع النساء وخبراتهم ، وسبل تحسينها وتفعيلها وكيفية الاستفادة منها والنسوية إذن هي ممارسات تطبيقية واقعية ذات أهداف عينية" (169).

تعود كلمة النزعة الأنثوية Feminism إلى أصلها الفرنسي Feminisme الذي اليوتوبي الاشتراكي شارل فورييه Charles Fourier. وقد استخدمت الكلمة للمرة الأولى في انكلترا عام ١٨٩٠م ، للإشارة إلى دعم مطالبة المرأة بحقوقها السياسية والقانونية بالمساواة مع الرجل (170).

وتذهب سارة جامبل إلى أن النسوية تعنى:-
الاعتقاد بأن المرأة لا تعامل على قدم المساواة - لا لأى سبب سوى كونها امرأة - في المجتمع الذي ينظم شئونه ويحدد أولوياته حسب رؤية الرجل واهتماماته وفى ظل النموذج الأبوى المرأة هي كل ما لا يميز الرجل أو كل ما لا يرضاه لنفسه ؛ فالرجل يتسم بالقوة والمرأة بالضعف والرجل بالعقلانية والمرأة بالعاطفية ، والرجل بالفعل والمرأة بالسلبية ، وهلم جرا . ذلك المنظور يقرن المرأة في كل مكان بالسلبية ومن هنا يمكن القول بأن النسوية هي حركة تعمل على تغيير هذه الأوضاع لتحقيق تلك المساواة الغائبة (171).

يختلف تعريف مصطلح «النسوية» من شخص لآخر . يعرّف شامان ناحال في مقالته النسوية في الخيال "الإنجليزي النسوية بأنها نمط من الوجود تكون فيه المرأة خالية من متلازمة التبعية. هناك متلازمة التبعية : سواء كان الزوج أو الأب أو المجتمع أو ما إذا كانت مجموعة دينية أو مجموعة عرقية. عندما تحرر النساء أنفسهن من متلازمة التبعية ويعيشن حياة طبيعية، تتحقق فكرتي عن النسوية."

المرجع نفسه، ص11. (169)

أحمد عبد الحليم : نبشّة وجذور ما بعد الحداثة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1981، ص71. (170)

سارة جامبل ص13، 12. (171)

لا يوجد تعريف ثابت للنسوية ولها مجموعة متنوعة من المعاني والتفسيرات. تعرف النسويات في مختلف مجالات الحياة النسوية وفقاً لوجهات نظرهن الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية وفقاً لقواميس كامبريدج، يمكن النظر إلى النسوية على أنها الاعتقاد بأنه يجب السماح للمرأة بنفس الحقوق والسلطة والفرص مثل الرجل ومعاملتها بنفس الطريقة، أو مجموعة الأنشطة التي تهدف إلى تحقيق هذه الحالة». وفقاً لموسوعة بريتانيكا، النسوية هي الإيمان بالمساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين الجنسين». وهي تتألف من عدد من الحركات الاجتماعية والثقافية والسياسية والنظريات والفلسفات الأخلاقية المتعلقة بعدم المساواة بين الجنسين والمساواة في الحقوق للمرأة إنها ضد إساءة استخدام السلطة، وتسعى إلى المساواة والعدالة في مجالات مختلفة، مثل الاقتصاد والطبقة والعرق والثقافة والدين، إلخ⁽¹⁷²⁾.

فالنزعة النسوية قد ظهرت كتيار مضاد للوضع الإنساني المهيمن الذي عانت منه المرأة عبر العصور الماضية ولا تزال من أجل تعرية الآخر المستهلك)، الذي تملكته شهوة الاستهلاك والاستحواذ والقهر، فأخذ بمبدأ النفعية، ولم يعبأ بأي شيء حوله، وأصبح كل همه الحرص على الاستغلال وتحقيق الاستهلاك بشتى السبل. كما هو معلوم بأن هذا التيار بدأ كواحد من الأدوات الرئيسية المساعدة للنظام الشيوعي الماركسي) المتكى على قوة البروليتاريا بإخراج النساء للعمل، ثم جاءت من بعده - في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين - حروب القارة الأوروبية فاضطرت المرأة للخروج للعمل، لذا قد تعاضم تيار النسوية بعد منتصف القرن العشرين واتخذ عدة مسارات منها ما هو سياسى ومنها ما هو اجتماعى ومنها ما هو علمى ومنها ما هو لغوى الخ"، ويهدف كل هذا إلى إلغاء المفاضلة التي دخلتها

(172) Raina, J. A. Feminism: An Overview. International Journal of Research, 2017, 4(13), 3372-3376.

منذ مرحلة زمنية طويلة وبوصفها تابعة للرجل . وإلغاء
تهميشها⁽¹⁷³⁾ .

النسوية مجموعة من الأدوات التحليلية والنقدية ، التي
يمكن أن تستعمل لتعميق فهم النساء ، ولتحديد علاقاتهن
بمجموعات أخرى من النساء داخل الحدود الإقليمية
والدولية وخارجها ، بهذه الطريقة يقوم المشروع النسوي
بتحسين فاعليته ، بالإضافة إلى استراتيجية المستعملة
للغير⁽¹⁷⁴⁾ .

لذلك ، فإن النسوية هي مجموعة متنوعة ومنافسة ومعارضة
في كثير من الأحيان للنظريات الاجتماعية والحركات
السياسية والفلسفات الأخلاقية . وهي تبدو بشكل أساسي
أوجه عدم المساواة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية
للمرأة . وتحاول وصف اضطهاد المرأة ؛ البحث في
الاستراتيجيات والأسباب والعواقب لإزالة التناقضات من
المجتمع . وتتطلب محاولات لتحقيق هدف المساواة
والكرامة والحقوق والتحرر وتمكين المرأة . لذلك ، فإن
النضال ضد التمييز على أساس الجنس هو المكان الذي
يحدث فيه تفوق الذكور واضطهاد الإناث . في الواقع ،
التحيز الجنسي ليس ظاهرة حديثة وهو شكل من أشكال
الاضطهاد الاجتماعي⁽¹⁷⁵⁾ .

هل تختلف النساء عن الرجال؟ يثير هذا التساؤل تناقضاً
مهماً ، فقد تفضل الطبيعة المرأة .. ولكن كل المجتمعات
تنحاز للرجل . المحررات المنحازات للمرأة يعتقدن أن
أية اختلافات - بخلاف تلك الاختلافات التشريحية - إنما
هي نتاج لحدوث التكيف بواسطة المجتمع ، بينما يرى
الرجال المعارضون أن الاختلافات تعليها الجينات
الموجودة في خلية كل منهما . أما العلماء فيرون أن
الإنسان سواء المرأة أو الرجل هو نتيجة تفاعل معقد
بين القوتين البيئة والوراثة ، وأن القول بأن بعض
الفروق مكتسبة وبعضها وراثي قول زائف تماماً ، فهما

محمد عبدالمطلب : بلاغة السرد النسوي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ط 1 سنة ٢٠٠٧ ص ٢٩ (173)

ميرفت حاتم ماذا تريد النساء؟ نحو خريطة نقدية للاتجاهات المستقبلية للنسوية العربية مجلة المستقبل العربي، لبنان مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠١٢، ص 20-31 (174)

(175) Raina J. A. P. 3372.

وجهان لعملية واحدة، ومحاولة تمييز نوع عن الآخر تماثل أن تسأل هل هذا القرش وجه أم ظهر؟⁽¹⁷⁶⁾ بعض الأبحاث الحديثة تنبئ عن احتمال وجود فروق في تركيب المخ بين الجنسين تؤثر على الجهاز العصبي المركزي لكليهما، بما يجعل كلا منهما يستجيب بشكل مختلف للمؤثرات التي تأتيهم من جهازهم العصبي. فالبنات حديثات الولادة يظهرن استجابات مختلفة في بعض المواقف، فهن ينفعلن بدرجة أعلى من الذكر للألم واللمس.

إن افتراض أن الرجال والنساء يفكرون ويسلكون بطرائق مختلفة هي فكرة يقبلها الجميع، فأجيال من الكتاب والباحثين قد انتبهوا إلى هذه الفروق، وأشاروا إلى أن السلوك العدواني والانفعال الأهوج تعد أموراً طبيعية عند الذكور بينما تميل الإناث إلى المهام الاستثنائية. وتتعترف الحركات النسائية ببعض الفروق، ولكنها ترفض فكرة أنها فطرية، وتؤكد على أن المجتمع وليست الطبيعة هو ما يعطي الرجال النزعة للسيادة ويمنع النساء من الوصول إلى وظائف عليا أو سلطات أكبر. إن محاولة إثبات أن الفروق السلوكية والفكرية ترجع إلى الاختلاف في تركيب المخ، وأن النساء يبدن تفوقاً في بعض الأمور عن الرجال لا يهدر بأي حال مشروعية طلب المساواة الاجتماعية بين الجنسين⁽¹⁷⁷⁾.

ظهر المذهب النسوي كحركة تعمل على تغيير هذه الأوضاع لتحقيق تلك المساواة الغائبة ونيل المرأة بعضاً من الحقوق العامة التي يتمتع بها الرجل، لذلك دأبت على تأكيد المساواة بين الجنسين وتهميش الفوارق النوعية بينهما لأنها لا تعني أبداً أن تكون المرأة أقل شأنًا من الرجل، ولا تحول دون تلقيها العلم وممارستها العمل والحياة السياسية والتصرف في أموالها وبذلك عملت على الإقتراب بالمرأة من النموذج الذكوري السائد كنموذج حضاري للإنسان وسارت في مسار التحجيم والطمس للخصائص

إيفلين أشتون وآخرون: النوع، ترجمة محمد قذري عمارة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2006، مقدمة المترجم، ص 27. (176)
المرجع نفسه، ص 27. (177)

الأنثوية المميزة ، إعتقاداً بأنه السبيل الأوحـد لفك أسر المرأة⁽¹⁷⁸⁾ .

كما لاحظت سكوت، بحلول عام 1986، تبنت النسويات بالفعل مصطلح «الجندر» للإشارة إلى البناء الاجتماعي للاختلافات بين الجنسين، وقد طرح المنظرون بالفعل «الجندر» كفئة تحليلية، على غرار الطبقة والعرق. بدأ عدد قليل من المؤرخين في استخدام مصطلح «تاريخ الجندر» بالإضافة إلى «تاريخ المرأة»، ونظرت حفنة منهم إلى الرجال والذكورة كجزء من تاريخ جنساني لا يركز فقط على النساء. تدخل سكوت في هذه العملية التأريخية في لحظة حرجة. بالنسبة لبعض مؤرخي النساء، كان التحول نحو تاريخ الجندر غير مرحب به في الغالب. إن استبدال «تاريخ المرأة» بـ «تاريخ الجندر» وإشراك الرجال والذكورة بدا للبعض في ذلك الوقت وكأنه تقليص محافظ، أو بحث عن الاحترام، أو التخلي عن دراسة الفئات المهمشة والمضطهدة. تعرفت سكوت على المزالق وقدمت الطمأنينة. رفضت بشكل مباشر استخدام «الجندر» كمرادف غير ميسر وعالم اجتماعي للمرأة أو الجنس، ووعدت بتنشيط التاريخ النسوي من خلال توسيع نطاق نفوذها. وبهذه الطريقة، ساعدت مؤرخي النساء على الموافقة (وغيرهم من المؤرخين على تمييز) التحول الناشئ في التأريخ⁽¹⁷⁹⁾ .

سكوت ركزت على مشكلة تواجه مؤرخي النساء وقدمت حلاً. بعد عشرين عاماً من إطلاق هذا المجال، كما توحى، كان تاريخ النساء محصوراً في أنماط وصفية، مقيداً في طرق استفسار تاريخي اجتماعي محدود. فقد فشل في مطالبه السابقة بإعادة كتابة السرد الرئيسي للتاريخ، ولم يشرح بشكل كافٍ "عدم المساواة المستمرة بين النساء والرجال". كما أن النظريات القائمة، قالت سكوت، كانت غير تاريخية ومجردة. وقدمت نهجاً مختلفاً لإعادة التفكير وإعادة كتابة التاريخ. متأثرة فلسفة دريدا التفكيكية وصياغة فوكو للسلطة المنتشرة، دعت

سعاد طريوش، النقد النسوي والإيدلوجيا من اضطراب المفهوم إلى فوضوية التنظير، رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة فرحان عباس، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٣٠-٢٩. (178)

(179)Meyerowitz, P1346.

المؤرخين إلى تحليل لغة الجندر، لملاحظة كيف ظهرت الفروق الجنسية المتصورة تاريخياً كقياس طبيعي وتنازع أساسي. وكتبت أن هذه الفروق المتصورة غالباً ما قمعت وقيدت المرأة، نعم، لكنها أيضاً قدمت "طريقة أولية للإشارة" إلى علاقات هرمية أخرى. هذا هو جوهر إسهامها: دعنا إلى النظر في كيفية هيكلية "العلاقة المسماة بالطبيعية بين الذكر والأنثى" وإضفاء الشرعية عليها وإضفاء الشرعية على علاقات السلطة، على سبيل المثال، بين الحاكم والمحكوم أو بين الإمبراطورية والمستعمرة. يبدو أن تاريخ الجندر يمكن أن يشمل مزيّداً من التاريخ مقارنة بتاريخ النساء. حتى يمكنه دخول وإعادة رسم الميادين الأكثر مقاومة، مثل تاريخ الحروب والسياسة والعلاقات الخارجية⁽¹⁸⁰⁾.

على الرغم من أنها وعدت بتوسيع مجال التأثير النسوي، إلا أنها لم تتمكن من تحويل هجوم النقاد داخل معسكرها المضطرب. إذ أن اعتمادها لما بعد الهيكلية والتركيز على لغة الفروق الجنسية أثار عدداً من الردود اللاذعة من بارزين من مؤرخي النساء. على سبيل المثال، عبرت جوديث بينيت عن قلقها من أن "دراسة سكوت للنوع تجاهلت المرأة بصرف النظر عن الجنس"، وتجنبنا التصالح مع "الواقع المادي"، و"إضفاء طابع فكري وتجريدي على عدم المساواة بين الجنسين". وبالمثل، شككت ليندا جوردون في أن التركيز على الجندر كفارق في حد ذاته كـ"نموذج لجميع الانقسامات الأخرى" قد حل محل "الجندر كنظام للهيمنة" وبالتالي استبدل رؤية تعددية من "تفاوتات متعددة" لدراسة "اختلافات السلطة". وذهبت جوان هوف أبعد، حتى تجاوزت الحدود. اتهمت مؤرخي الجندر، وسكوت على وجه الخصوص، بالعدمية، والحاضرة، واللاتاريخية، والتعتيم، والنخبوية، الإذعان للأبوة، والمركزية العرقية، اللامبالاة وربما العنصرية. وجدت أن ما بعد البنائية "محت المرأة كفة للتحليل"، وأضعفت "المرحلة التقليدية للبحث التاريخي" بالنسبة

لتلك الفئات من النساء التي لم يتم كتابة تاريخهن
بعد⁽¹⁸¹⁾.

جاءت التعليقات النقدية أيضًا من المؤرخين الذين لم
يكتبوا تاريخ النساء، خاصة أولئك الذين شككوا في
الميل اللغوي. جاءت الانتقادات لعمل سكوت من اليسار
واليمين على حد سواء. فقد انتقد براين بالمر رفضها
للمادية التاريخية، واشتكت جيرترود هيملفارب من
تعطيل الحقيقة والواقع والموضوعية. في الولايات
المتحدة، كما اقترح آخرون، كان "مؤرخو النسوية" في
"طليعة" الممارسة التاريخية ما بعد الهيكلية، خاصة
في تجلياتها خارج التاريخ الفكري، وتبرز سكوت في
المقدمة. من هذا المنطلق، أصبح "الجندر" يمثل شيئًا
أكبر من نفسه. فقد كانت سكوت الأداة المحبوبة ليس فقط
لتاريخ الجندر بل أيضًا لتحديات ما بعد البنائية،
والتنقيح للتاريخ الأحداث والموضة - "الأزياء الفكرية"
- للنظرية الفرنسية المستوردة. قد لا تكون قد استمتعت
بالجلد العامل علنًا، ولكنها بلا شك ساهمت في جذب
القراء إلى مقالها⁽¹⁸²⁾.

على الرغم من تحفظ بعض المؤرخين، إلا أن الجندر سرعان
ما أصبح يتمتع بحياة خاصة به. ضمن مجال تاريخ
الولايات المتحدة، لم يكن لدى العديد من الأعمال
الجديدة المتعلقة بالجندر اتصال مباشر بمقال سكوت.
على سبيل المثال، فإن دراسات الحالة المتعلقة بتداخل
العرق والطبقة والجندر، وحسابات كيفية مشاركة
مجموعات مختلفة من النساء والرجال بطرق مختلفة في
السياسة والعمل والاستهلاك، لم يكن من الضرورة أن
تعتمد على نموذج دريدا وفاكو كليًا. ومع ذلك، لا شك في
أن مقال سكوت كان له تأثير لا يمكن إنكاره، حتى بين
الكتاب الذين لم يعتمدوا بالكامل على الأسلوب الهادم
للهيكلية. في التسعينيات، ألهمت مجموعة من العلماء
الباحثين الذين كتبوا تاريخ الجندر بمجموعة متنوعة
من الأشكال والمجالات. ضمن هذه المجموعة، اتبع عدد من

(181)Ibid.p1347.

(182)Ibid.p1348.

الكتاب اقترح سكوت بتسليط الضوء على الاستخدام الخطابى للفروق الجنسية المتصورة وتتبع كيفية تشكيل علاقات القوة. في تاريخ الولايات المتحدة، تلاشت دراسات الحالة المتعلقة بـ "عوالم النساء" و"ثقافات النساء" التي انتشرت في الثمانينيات مع ظهور روايات للطرق التي تعززت بها لغة الجندر التسلسل الهرمي للعرق والطبقة والمنطقة والسياسة والأمة والإمبراطورية⁽¹⁸³⁾.

إن البحث النسوي في الأساس متصل من حيث المبدأ بالنضال النسوي. فالبحث النسوي يتصدى للبنى الفكرية والاجتماعية والأيدولوجيات القائمة على قهر النساء، وذلك عبر توثيق حيوات النساء وتجاربهن وهمومهن، وإلقاء الضوء على الأنماط والتحيزات القائمة على أساس الجنس، والكشف عن معارف النساء التي طال إغفالها. كما أن أهداف البحث النسوي تعزز تمكين وتحرير النساء وغيرهن من المجموعات المهمشة، وعادة ما تقوم الباحثات النسويات بتطبيق نتائجهن التي توصلن إليها في سبيل تشجيع التغيير الاجتماعي وتحقيق العدالة الاجتماعية للنساء. وإذا كنا لا نستطيع اختزال كل النساء في مجموعة واحدة ذات تجربة أو عرق أو طبقة أو ثقافة موحدة، فمن نفس المنطلق لا يوجد منهج أو منهجية أو إبستمولوجيا (نظرية المعرفة واحدة يقوم عليها البحث النسوي، إذ تتبع الباحثات النسويات وجهات نظر مختلفة، ويترحن أسئلة مختلفة، ويعتمدن على مجال رحب من المناهج والمنهجيات، ويطبقن رؤى متعددة بما يعلى من وعينا بالأيدولوجيات والممارسات المتحيزة جنسياً، والمعادية للمثلية الجنسية، والعنصرية والاستعمارية⁽¹⁸⁴⁾).

ونجد بعض النسويات يستخدمن المنهجيات التقليدية، ولكن مع طرح أسئلة جديدة تتضمن قضايا وهموم النساء، بينما تقوم أخريات بإعادة صياغة أو حتى إحداث زعزعة جذرية، للمعارف والمنهجيات التقليدية. وفي الواقع فإن بعض الباحثات النسويات يواصلن جهودهن لتطوير

(183)Ibid.p1348.

أبيجيل بروكسي وآخرون: دعوة إلى البحث النسوي، ضمن كتاب مدخل إلى البحث النسوي ممارسة وتطبيقاً، تحرير شارلين ناجي هيس، بايبر باربشا ليناليفي، ترجمة هالة (184) كمال، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص27.

معارف ومنهجيات وأساليب بناء المعارف تتسم كلها بالجدّة ، وذلك في سبيل الكشف عن الجوانب الخافية والمخفية من حيوات النساء وغيرهن من الفئات المقهورة ، واستعادة المعرفة التي طال إغفالها (185). إن البحث النسوي مشروع شامل يتضمن كافة مراحل العملية البحثية ، من النظرية إلى التطبيق ، من صياغة أسئلة البحث إلى كتابة نتائج البحث ، كما أن الباحثات التسويات يؤكدن على التداخل القائم بين نظرية المعرفة والمنهجية والمنهج ، وينصب اهتمامهن على الطرق المختلفة التي تتفاعل بها رؤية الباحثة للواقع ومدى تأثيرها في كيفية قيامها بجمع وتحليل مادتها . إن الإبستمولوجيا هي "نظرية المعرفة" التي تحدد مجموعة من الفرضيات عن العالم الاجتماعي وعن الشخص الذي يمكن أن يكون عارفا والأشياء القابلة للمعرفة ، ويقوم الباحث أو الباحثة باتخاذ القرارات المتأصلة في تلك الفرضيات والتي تؤثر على موضوع الدراسة بناء على ما يمكن دراسته وكيفية القيام بالدراسة . أما المنهجية فهي النظرية الخاصة بكيفية القيام بالبحث أو كيفية مواصلته وأخيرا فإن المنهج هو آلية أو أسلوب مواصلة جمع الأدلة" (186) .

مسح سريع لبعض الفروع الفرعية في تاريخ الولايات المتحدة يؤكد هذه النقطة . في تاريخ الجنوب ، أيدت جاكليين داود هول مشروع الجندر في وقت مبكر . وكتبت في عام 1989 : "يقدم الجنوب مثالا رئيسيا على كيفية تحمل الجندر علاقات السلطة في الأنظمة الهرمية" . أخذ مؤرخون آخرون هذه المهمة على عاتقهم . اكتشفت ستيفاني ماكاري أن القساوسة الذين كانوا يؤيدون العبودية والسياسيين كانوا يقومون باستخدام التشابهات بين "استضعاف المرأة" و"استضعاف العبيد" مرارا وتكرارا ، وعن طريق ذلك "منحوا العبودية مشروعية الأسرة والزواج بشكل خاص" . إنهم استخدموا لغة الجندر "لتطبيع العلاقات الاجتماعية الأخرى - مثل الطبقة والعرق ، على سبيل

المرجع نفسه، ص27. (185)

المرجع نفسه، ص28. (186)

المثال". أفادت لورا إدواردز أيضًا بوجود تشابهات مماثلة - بين النساء والمجموعات الأخرى "المعتمدة" - في كتابات رجال النخبة البيض في فترة إعادة الإعمار، الذين استخدموا لغة الجندر لتبرير محاولتهم لاحتكار السلطة السياسية. لاحظ المؤرخون أيضًا كيف تم ترميز الولايات الجنوبية نفسها بأنها أنثى داخل الولايات المتحدة. على سبيل المثال، أشارت نينا سيلبر إلى لغة جندر ما بعد الحرب الأهلية الشمالية التي وصفت الجنوب بأنه "زوجة مطيعة" وساهمت في تمكين "الرومانسية" للوحدة القطاعية⁽¹⁸⁷⁾.

في المجالات الأخرى، اهتم المؤرخون أيضًا بالطرق التي استخدم فيها علماء السياسة والمسؤولين الحكوميون والكتاب الآخرون لغة الاختلاف الجنسي لبناء والحفاظ على التسلسلات الهرمية الاجتماعية والسياسية. في تاريخ أمريكا الأولى، وصفت ماري بيث نورتون كيف أن البريطانيين المستوطنين الذكور في القرن السابع عشر أقاموا حكومات تستند إلى نموذج للأسرة متباين بين الجنسين وهرمي، واقترحت كاثلين براون أن خطاب الجندر يشكل النظام السياسي الناشئ في فرجينيا من خلال الصراعات الأولى مع الهنود الحمر. كما أوضح توبي ديتز كيف أن التجار في فيلادلفيا في القرن الثامن عشر استقروا حالة الذكورة الهشة الخاصة بهم من خلال تأنيث زملائهم الفاشلين والغشاشين عن طريق تصويرهم بأنهم "ضحايا بكاء وحوريات". في النهاية الزمنية الأخرى، قام مؤرخو السياسة الأمريكية في القرن العشرين بدراسة كيف استخدم السياسيون الذكور لغة الجندر لإنشاء هرم يضعهم فوق منافسيهم الذكور. في أوائل القرن العشرين، قاموا بتصوير المصلحين الذكور كما لو كانوا أنثويين وبالتالي ناقصين، وفي أواخر القرن العشرين، قاموا بمهاجمة الليبراليين الذكور بصورة مشابهة إلى حد ما. عرضت جيل بيدرمان وأرنالدو تيستي كيف تخلص تيودور روزفلت من الاتهامات المرتبطة بالنوع الذكوري من خلال مزج برنامجه الإصلاحية بثقافة رجولية استعمارية

(187)Meyerowitz, P1349.

وعنصرية ، وقد أوضح روبرت دين و ك. أ. كورديليونى كيف حاول جون كينيدي صد التشويه من خلال تعبير عدواني عن الليبرالية (188).

ان الفكر الغربي يميز بين " الجنس " " والنوع " بإعتبار " الجنس مسألة بيولوجية بينما " النوع " هو تصوير اجتماعي ، وقد تم إحلال مصطلح الجندر " محل مصطلح " الجنس " في وثائق الأمم المتحدة (189).

فمفهوم Gender من المفاهيم المحورية لدى النسوية ، لأن مفهومه ليس تفجيراً دلالياً لمعناه الاصطلاحي المباشر دالاً على النوع والجنس بالمدلول البيولوجي. وهو تفجير يختزل في ثنايا محاولة المعرفة البشرية للتعبير عن تحولاتها من خلال اللغة ، ومن هنا كان الجندر تعبيراً عن هذه النقلة النوعية من أولوية المعانى المحددة لهويته الإنسان على اعتبار تلك الهوية منتجا متشكلا في تاريخه ووجوده (190).

وقامت النسوية باستحضار الـ Gender كمفهوم ليحل مكان مفهوم الجنس، بإعتباره مفهوم واسع الاستعمال فى العلوم الإجتماعية خاصة وقد ظهر هذا المصطلح فى سبعينيات القرن العشرين فلا ينظر للمرأة والرجل على أساس التكوين البيولوجي وإنما من خلال الوظائف والأدوار التي يقومان بها المصطلح منذ سبعينيات القرن العشرين فى النظرية النسوية . ويشير مفهوم النوع " Gender " إلى التكوين الثقافي والإجتماعي الذى يجعل من الذكور رجالاً ومن الإناث نساء ، ولكل منهما أدوار ووظائف محددة (191).

من المفاجئ بشكل كبير، أن تاريخ الجندر أدى أيضاً جهوداً هامة فى تاريخ السياسة الخارجية، وهذا المجال فى تاريخ الولايات المتحدة كان يبدو الأكثر حفظاً من مشروع تاريخ المرأة. وقد دعت سكوت صراحة إلى هذه التدخلات؛ وفى عام 1990، استجابت إميلي روزنبرج وأبدت

(188) Ibid.p1350.

هيثم زعقن وآخرون: الحركة النسوية وخلق المجتمعات الإسلامية ، سلسلة البيان الرياض ، ط ٢٠٠٦ ص : ١٥ (189)

بسام الجمل : النسوية الإسلامية ، سلسلة ملفات بحثية ، الرباط ، ٢٠٠٦ ص : ٣ (190)

بسام الجمل : النسوية الإسلامية ، سلسلة ملفات بحثية ، الرباط ، ٢٠٠٦ ص : ٣ (٣) ليلي فيضى : مفاهيم ومصطلحات النوع الاجتماعى ، دار مفتاح للنشر والتوزيع ، رام الله ، ط (191)

٢٠٠٦ ص : ٦

قضية فوائد التحليل الجندري المحتملة. قالت إن الصور الجندرية تنتشر في تقارير الشؤون الدولية، وتشعر العلاقات الخارجية للهيمنة والاعتماد⁽¹⁹²⁾. قام أندرو روتر بمتابعة هذا الأمر وأظهر كيف أن صانعي السياسات الأمريكيين في منتصف القرن العشرين قد تخيلوا الهند بصورة أنثوية وقادة الهند الذكور بصورة ساكنة، عاطفية، وناقصة في الحيوية. في هذه الحالة، تفقد "الأنثوية" الفرصة للتحالف بين الولايات المتحدة والهند. في حالات أخرى، لكن "تذكير الأمة" وزعمائها بالرجولة تضر بالعلاقات الدولية، في حين أن "تأنيث" هذه العلاقات يسهلها. فعلى سبيل المثال، قام فرانك كوستيجليولا بالتحقيق في كتابات عالم الحرب الباردة جورج كينان، الذي انتقل من التأنيث لتصوير روسيا المحبوبة في الثلاثينيات إلى وصف القادة السوفيت بأنهم "ذكور شرساء بشكل وحشي" بعد الحرب العالمية الثانية. أظهرت بيترا جوده عكس هذا التغيير فيما يتعلق بألمانيا. خلال الحرب العالمية الثانية، قام الجنود الأمريكيون بتشويه قادة النازية، الذين فهمهم على أنهم ذكور وحشيين بشكل واضح، ولكن بعد الحرب، "طوروا صورة مؤنثة" لألمان بوصفهم سكانًا يحتاجون إلى حماية، وبالتالي، زعمت جوده أنهم "فتحوا الباب أمام المصالحة"⁽¹⁹³⁾.

بدأ المؤرخون أيضًا في التلميح إلى أن الخطابات الجندرية قد دعمت وحافظت على التدخلات العسكرية الأمريكية. في كتابها "الكفاح من أجل الرجولة الأمريكية"، استكشفت كريستين هوجانسون "كيف أثارت السياسة الجندرية الحروب الأمريكية الإسبانية والأمريكية الفلبينية"، كما صرح بشكل واضح في عنوان كتابها. وبينما كانوا يدعون إلى الحرب، أعرب المتعصبون والإمبرياليون عن اهتمامهم المتزايد بالذكورة وتطلعوا إلى الجيش لبناء الرجولة الأمريكية وإثباتها. لقد صوروا الأسبان الذين سيصبحون أعداء

(192)Meyerowitz, P1350.

(193) Ibid.p1350.

قريبًا على أنهم أنثويون مقيتون وذكوريون بشكل مثير
للاشمئزاز - "أرستقراطيون مخنثون" و"مغتصبون متوحشون"
- وفي بعض الأحيان قاموا أيضًا بتأنيث الكوبيين
والفلبينيين بالإضافة إلى خصومهم المحليين. أوجزت
ماري ريندا خطابًا ذكوريًا مختلفًا بعض الشيء عن
"الأبوية التدخلية" التي ضمنت الاحتلال الأمريكي لهايتي.
ساعدت لغة الأبوة القائمة على الجندر صناع القرار على
تبرير العنف الإمبريالي باعتباره محاولة رجولية
لحماية وتعليم وتأديب الهايتيين الذين يُزعم أنهم
طفوليون. وكتب روبرت دين عن التهديدات التي تواجه
«الذكورة الإمبراطورية» لنخبة السياسة الخارجية
الأميركية في منتصف القرن العشرين. استخدم السياسيون
وصناع السياسات لغة الجندر للدفاع عن رجولتهم
والتقليل من شأن رجولتهم، وبالتالي انخرطوا، كما
اقترح دين، في "سياسة الرجولة" التي "شكلت بشكل حاسم
مأساة حرب فيتنام". لم يحصر هوجانسون وريندا ودين
(والمؤلفون الآخرون المذكورون أعلاه) تحليلاتهم في
تفكيك التناقضات الثنائية، لكنهم قدموا أدلة على
كيفية بناء لغة الجندر وإضفاء الشرعية على
الإمبريالية الأمريكية ومظاهرها العنيفة⁽¹⁹⁴⁾.

بشكل عام، تشير هذه الأعمال المتنوعة، كما توقعت
سكوت، إلى تعدد المعاني التي تنقلها لغة الجندر. في
سياقات تاريخية مختلفة، رمزت الرجولة للقوة والحماية
والاستقلالية والألفة والانضباط والمنافسة والتسلح
والعدوانية والوحشية والقسوة، ورمزت الأنوثة للضعف
والهشاشة والعجز والعاطفة والسلبية والتجانس
والتربية والجاذبية والشاركة والزيادة والإغواء. لم
تكن الاختلافات الطبيعية المفتعلة بين الجنسين لها
معنى ثابتًا ولا قابلاً للتغيير، وفي تنوعها، قدمت معاني
محتملة لنطاق متنوع من العلاقات الأخرى. على الرغم من
احتجاج المؤرخين الآخرين، فإن الأثر النهائي للغة
الجندر كان من الصعب تحديده. عندما (وكيف) كما سألت
سكوت، أصبحت لغة الجندر تشكل تجربة الهيكل بشكل حاسم

وتؤثر فعليًا في السلوك وعملية اتخاذ القرارات، ومتى كانت مجرد تزيين بالخطاب المريح أو تجميل بمبدأ تكرار عاطفي فارغ؟ عندما (وكيف)، كما سألت سكوت، تكون لغة الجندر تشكل علاقات القوة الأخرى، ومتى تكون مجرد فقرة ثانوية أو مثال إضافي في سرديات النظام الاجتماعي والسياسي؟ حتى بدون كل الإجابات، دفع العدد المتزايد من دراسات الخطاب الجندري المؤرخين إلى الاعتراف بانتشاره، والمجالات المتنوعة التي ظهرت فيها الاختلافات بين الجنسين كنموذج وقياس واستعارة للعلاقات الهرمية، والمعاني واسعة النطاق والمتغيرة للعلاقات الهرمية. الذكورة والأنوثة في العصر الحديث⁽¹⁹⁵⁾.

عززت الدراسات أيضًا سمعة مقالة سكوت ووضعت رسالتها في المجالات الفرعية التقليدية للدراسة التاريخية. ذكرت جميع الأعمال المذكورة أعلاه تقريبًا (والعديد من الكتب والمقالات الأخرى أيضًا) في الحواشي إن لم يكن في النص. ومنهم من نقله مباشرة. لقد أصبحت مرجعًا للتحقق من صحة الأعمال الفردية التي نقلت الجندر إلى مركز الحقول الفرعية المتخصصة التي كان يقف فيها سابقًا على الهامش. وبحلول نهاية التسعينيات، ومن خلال عملية التكرار، أعاد "الجندر" تشكيل الحكمة الشائعة لهذا التخصص. كمقياس لنجاحها، أصبحت مقالة سكوت بمثابة صوت من الماضي القريب يوضح ببلاغة ما يعرفه الجميع بالفعل، على ما يبدو⁽¹⁹⁶⁾.

في غضون ذلك، اتجهت سكوت نفسها في اتجاهات جديدة. في عام 1999، شككت في حيوية مصطلح "الجندر". في الثمانينيات، كتبت، بدا الجندر "فئة تحليلية مفيدة بالضبط لأنها كان لها تأثير غير مألوف ومربك". ومع ذلك، فقد "فقدت قدرتها على الصدمة والتحفيز". في الاستخدام اليومي، أصبح الجندر "مرادفًا للنساء، ولل فروق بين الجنسين، وللجنس". اخترقت كلمة "الجندر" تاريخ النساء دون أن تحول الحقل بالضرورة. ظهرت في العديد من "الدراسات المتوقعة حول النساء، أو عن

(195)Ibid.p1351.

(196)Ibid.p1351.

الاختلاف في وضع النساء والرجال وتجاربههم وإمكانياتهم". بالتالي، فإنها فرضت صلابة زائفة على فئات غير ثابتة ومتغيرة من "النساء" و "الرجال". أصبحت سكوت تتجنب الآن كلمة "الجندر" وتكتب بدلاً من ذلك حول "الاختلافات بين الجنسين وحول الجنس كمفهوم تاريخي قابل للتغيير". وتوجهت بشكل أكثر استعصاءً إلى علم النفس التحليلي، وإلى الأوهام التي تمكن الهويات، بما في ذلك "التصورات الخيالية التي تحرك الرغبات الفردية إلى هويات جماعية". في كتابها لعام 2005 "المساواة الجنسانية وأزمة العالمية الفرنسية"، وكتابها لعام 2007 "سياسة الحجاب"، شاركت في النقاشات الحالية في السياسة الفرنسية. ركزت أقل على لغة الاختلاف الجنسي وأكثر على لغة العالمية في فرنسا المعاصرة. في هذه الكتب، لم تتخلى عن دراسة "الجندر"، ولكنها وضعت علاقات الجندر الفرنسية ضمن تحليل سردي لـ "الفردانية المجردة" التي تحرك التقاليد الجمهورية الفرنسية. التاريخ، وكما هو متوقع، تجاوز مؤرخون آخرون أيضاً إلى أراضٍ جديدة (197).

إن تقسيم البشرية إلى مجموعتين جنسيتين : نساء ورجال يبدأ عند مولدنا، فكل مولود ينسب إلى أحد المجموعتين وفقاً لشكل أعضائه التناسلية وحجمها، وبمجرد أن يحدث ذلك، تصبح ما يريد النظام الاجتماعي لكل منا أن يكونه أنثى أو ذكر. وعلى الرغم من أن الكثيرين يعتقدون أن الرجال والنساء هم التعبير الطبيعي للحتمية الوراثية، فالدور الجنسي هو نتاج التفكير الإنساني والثقافة والتشكيل الثقافي هو الذي يخلق الطبيعة الحقيقية لكل الأفراد، مثل الصفات الذاتية والقدرات والأفكار والمشاعر، كما أنها تقسم بين الجنسين ويتم التعرف عليها والتعبير عنها بالتوافق مع مجموعة معقدة من القواعد والطقوس التي نتعلمها. فالذكور والإناث البيولوجيون يتحولون بذلك بفعل الثقافة إلى

رجال ونساء متكيفين اجتماعيا وسيكولوجيا ليمارسوا أنوارهم كذكور أو إناث⁽¹⁹⁸⁾.
كما أن تقسيم المواليد إلى مجموعتين جنسيتين يقوم على أساس أن الرجال والنساء نوعان مختلفان من الكائنات، والتركيز على الفروق النوعية ينتج عنه اختلاف في طريقة تنشئة الأولاد والبنات بأساليب وطرق مختلفة، وعلى الرغم من أن كل مجموعة تعتقد أنها ناقصة وغير كاملة، فمن المفترض أنهما عندما يصبحان معاً في صورة أزواج مختلفين جنسياً، سيصلان إلى استيعاب تلك الخصائص التي تجعلهما منفصلين. وحيث إن التمييز الأصلي للثنتين يضعهما في تعارض، وإن التمييز الحاد يعمق الفروق بينهما، فإن هذا التمييز يتلاشى عند الجماع فقط، ففي تلك اللحظة يمكن لكل منهما إدراك الفوائد المفترضة من حقيقة أن كلا منهما يكمل الآخر⁽¹⁹⁹⁾.

إن نظام الجنسين الذي تفرضه الثقافة يخلق خصائص جنسية متميزة لكل نوع تشعره بالطبيعية رغم الخطوات الصعبة التي يجب أن يمر بها كل طفل لكي يصنف بأنه ذكر أو أنثى. وما إن يدرك كل منهما خصائصه المميزة، فإن هذه الخصائص تنعكس شعورياً للداخل وتمارس بوصفها حقيقة حتمية وغير قابلة للتغيير. وبتقدم الأطفال اجتماعياً وسيكولوجياً، فإن أثار الفرق تتأكد وتعمق في العقل الواعي وغير الواعي، وينجم عن ذلك أن الدور الجنسي يظهر وكأنه نتيجة للتركيب الفطري للشخصية وليس نتيجة للتكيف الاجتماعي وتشكيل الوجدان⁽²⁰⁰⁾.

ويتقدم الرجال والنساء في الحياة، يكون من المتوقع أن يقوموا بأداء الدور الجنسي المناسب لكل منهما. فوفقاً لافتراضات السيكولوجية التي تتعلق بالعلاقات الجنسية، يجب أن يكون الرجال ذكورا ليكونوا مناسبين لأنوثة النساء، ولأنهما منفصلان وغير متساويين، فإن نصفى البشرية يواجهان بعضهما أحياناً بسلوكيات غير متوقعة نابعة من الفروق بينهما، لكن من النادر أن

لوس جليبرت، ويولا ويسترن: مخاطر الأنوثة، ضمن كتاب: النوع، تحرير إيفلين أشتون وآخرون، ترجمة محمد قدرى عمارة، الهيئة العامة للكتاب، 2006، ص 76. (198)
المرجع نفسه، ص 76. (199)
المرجع نفسه، ص 77. (200)

يفاجأ كل منهما بهذه السلوكيات، فالامتثال للقواعد النوعية عندما لا يكون أمام الأطفال يملأ عليهم اختيار واحد لا يكون سوى الامتثال والطاعة، كما أن الرغبة في أن يكون لديهم الطراز الصحيح من الأطفال ذكوراً كانوا أم إناثاً، يدفع كلا من الوالدين إلى اتباع النظام الجنسي كما يعرفونه، وبالتالي تكون النتيجة إعادة تأكيد التقسيم الحالي لنظام الجنسين⁽²⁰¹⁾.

في تاريخ النساء والجنس في الولايات المتحدة، ضموا العرق والجنسية والجنس كفئات ذات فائدة متساوية لتحليل التاريخي، واستدانوا من النظرية الاستعمارية والنظرية النقدية للعرق والنظرية العنصرية والسياسية. يبدو أن أشكالاً أخرى من الاختلاف المشاهدة المدعومة قد شكلت الجندر بنفس القدر الذي شكله الجندر. وعلى وجه الخصوص، إن الدعوة إلى التعامل مع العرق كان لها تأثير على الأقل مثل الدعوة إلى الاهتمام بالجنس. لقد اهتم مؤرخو النساء والجنس أيضاً بتاريخ السياسات الاجتماعية والأجور، والتاريخ القانوني للزواج، والتاريخ الاجتماعي لأولئك الذين يشكون ويتجاوزون بالقوانين⁽²⁰²⁾.

تحول مؤرخو النساء بعيداً عن دراسات المجتمع المحلية التي اعتمد عليها التاريخ الاجتماعي وركزوا أكثر على السيرة الذاتية الفردية أو الجماعية، وعلى مسائل القانون والمواطنة، وتداول النساء والأفكار حول الأنوثة عبر الحدود الوطنية. قاموا بإعادة كتابة تاريخ حركات النساء بنظرة أكثر تركيزاً على الاختلافات بين النساء والصراعات بين التيارات النسوية المتنافسة. في الوقت نفسه، أنتج مؤرخو الرجولة سلسلة من الدراسات حول التصورات القائمة والأشكال المتعددة والأزمات المتكررة للرجولة. إذاً، استمر تاريخ الجندر (ويستمر) في الازدهار في عدة تجليات، وعلى الرغم من مخاوف النقاد الأوائل (واللاحقين)، فإنه يتعايش ويتداخل مع تاريخ المرأة بدلاً من أن يحل محله أو

المرجع نفسه، ص77. (201)

Meyerowitz, P1352. (202)

يزيحه. وسط هذه الوفرة، اتخذت مقالة سكوت الدور الرمزي للنص التأسيسي⁽²⁰³⁾.

لقد كان لمقال سكوت تأثيره الأكثر وضوحًا في مجالات تاريخ المرأة والجنس، لكنه لعب أيضًا دورًا كبيرًا في التحول الأوسع من التاريخ الاجتماعي إلى التاريخ الثقافي، من دراسة التعداد السكاني وتجارب وحركات الفئات المضطهدة والمشوهة إلى دراسة التمثيلات واللغة والإدراك والخطاب. في تاريخ الولايات المتحدة، كان صعود تاريخ الجنس مشابهًا وتقريبًا متزامنًا مع التغيرات في مجالات التاريخ الأخرى المعتمدة على الهوية، بما في ذلك التاريخ الأفريقي الأمريكي واللاتيني والأمريكي الآسيوي والهجرة وتاريخ المثليين والمثليات والطبقة العاملة. تاريخ الجنس والبناء التاريخي للذكورية كان لهما نظيرهما في تاريخ العرق، وتاريخ الأصل وبنية الهوية الوطنية، وتاريخ الجنسية وبناء الاستقامة، وتاريخ الطبقة وبناء الطبقة الوسطى. إلى حد ما، نفس الطاقات السياسية المتحيزة اليسارية التي كانت تغذي الكثير من التاريخ الاجتماعي الجديد كانت تغذي التاريخ الثقافي الجديد أيضًا. السخرية في ذلك هي أن التاريخ الاجتماعي، المصدر المزعوم للتجزؤ المركزي، قد تحول إلى تاريخ ثقافي يبدو أنه عاد، مع عزم جديد ونقد جوهري، إلى مركز الاستفسار التاريخي السابق للتاريخ الاجتماعي. "الجنس" ومقالات سكوت الأخرى، وفي الواقع، قدمت جزءًا رئيسيًا من الأساس النظري لهذا الاتجاه التاريخي⁽²⁰⁴⁾.

مثل جميع اللحظات التاريخية، فإن هذه اللحظة، أيضًا، ستمر بلا شك. وعندما يحدث ذلك، ما الذي سنتذكره؟ قد ننظر إلى سياق آخر لفهم أهمية مقال سكوت ومساهمته الأكبر بعد التاريخ. لقد بدأنا للتو في تاريخ "النوع"، أي كتابة تاريخ مفهوم النوع نفسه. ينتمي مقال سكوت إلى هذا التاريخ؛ فهو يمثل نقطة تحول عندما سحبت الدراسات النسوية الأمريكية "النوع" بعيدًا

(203)Ibid, P1352.

(204)Ibid, P1352.

عن أصوله العلمية والاجتماعية العلمية، وعملت على إعادة صياغة معناه واقتراح تأثيره الاجتماعي والثقافي والتاريخي الأوسع⁽²⁰⁵⁾.

لقد بدأت الفلسفة النسوية في الظهور والإنتشار - منذ سبعينات القرن العشرين - كفرع من فروع الدراسات النسائية، من هدف محدد هو وضع حد لتهميش المرأة في مختلف فروع المعرفة. ولعل البدايات الأولى للفلسفة النسوية إنحصرت في مجالين اثنين من مجالات الفلسفة، أعني مجال السياسة والأخلاق، إلا أنها تطورت بعد ذلك لتشمل مجالات الفلسفة على اختلافها⁽²⁰⁶⁾.

لقد حاولت الفلسفة النسوية - بوجه عام - أن تضع حداً للتحيز الذكوري داخل الفلسفة وتاريخها. لهذا نجد الفلسفة النسوية تحاول إبراز الفيلسوفات اللاتي تم استبعادهن من تاريخ الفلسفة، بالإضافة إلى وقوف هذه الفلسفة موقفاً نقدياً صارماً من عدد من فلاسفة الغرب القدماء والمحدثين الذين أبدوا تحيزاً ذكورياً ضد المرأة أمثال أفلاطون وأرسطو وبيكون ودديكارت وكانط وغيرهم، حيث أجمع هؤلاء على أن عقل المرأة لا يمكن أن يرتقي إلى منزلة ومكانة عقل الرجل القادر بدوره على التفلسف وإمعان العقل والفكر في موضوعات فلسفية غاية في التجريد والعمق⁽²⁰⁷⁾.

كما وقفت الفلسفة النسوية ضد النظريات الأخلاقية والسياسية الغربية التي تتعامل مع المرأة وكأنها أداة أو آلة صنعت لتلبية اهتمامات الرجل والمؤسسات الذكورية السائدة. إن الفلسفة النسوية حاولت أن تضع حداً لهذا الإستخفاف بالمرأة داخل تاريخ الفلسفة، مما جعلها تهتم بتلك الثنائية المستفحلة داخل تاريخ الفلسفة الغربية ثنائية (الثقافة الطبيعة، الكلي / الجزئي والعقل الجسم والتفكير الإنفعال، والعام الخاص إلى آخر هذه الثنائيات التي كانت تفسر لصالح التفكير الذكوري⁽²⁰⁸⁾.

(205)Ibid, P1352.

د. أحمد عبد الحليم عطيه، كانط وأنطولوجيا العصر، فصل نقد ذكورية العقل في فلسفة كانط، د. خالد قطب، الفكر المعاصر سلسلة أوراق فلسفية، ص ٢٤٨. (206)

. الموضوع نفسه (207)

المرجع نفسه، ص ٢٤٩. (208)

أشارت سكوت إلى أن الاستخدام المعاصر لمصطلح "النوع" يعود إلى حركة النسوية في السبعينيات، ولكن الكلمة لها تاريخاً أطول، حتى كمرجع للعناصر غير البيولوجية للجنس. قبل الخمسينيات، استخدم اللغويون "النوع" كما أقرت سكوت، للإشارة إلى شكل من أشكال التصنيف اللغوي. ومع ذلك، ظهرت نظريات بناء اجتماعي لاختلافات الجنس تزامناً مع نظريات بناء اجتماعي لأشكال أخرى من الاختلاف الجماعي. من القرن العشرين المبكر فصاعداً، اشتغل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا في تساؤل عميق حول الحتمية البيولوجية والتصنيفات التي اعتمدت عليها، ليس فقط فيما يتعلق بالجنس بل أيضاً فيما يتعلق بالعرق والأصل القومي والجنسية والجريمة والأمراض العقلية. بحلول منتصف القرن العشرين، كتب علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع عن "أدوار الجنس" للإشارة إلى السلوك المتوقع والتي تحدده الثقافة للنساء والرجال، وعن "المركز الجنسي" للاعتراف بأن ثقافات مختلفة تعطي تصنيفات اجتماعية مختلفة للنساء والرجال. واستخدم علماء النفس عبارات "الجنس النفسي" و "تحديد دور الجنس" للإشارة إلى الشعور المكتسب للفرد بالأنوثة أو الذكورة⁽²⁰⁹⁾.

لم يأت العلم الغربي أبداً عن ضربة واحدة أو كخامة متجانسة كمؤسسة اجتماعية، أو طريقة لاكتساب المعرفة اكتسى بعوائد وتوجهات معينة في استشرافه للأمور. وانعكس الوعي الذكوري في هذه المؤسسة، لأن الغالبية العظمى من العقول المسؤولة عن تشييد العلم كانت ذكورا.

استبد الأمل برجل العلم في أن يستطيع ملاحظة العالم من حوله ملاحظة دقيقة، وذلك عن طريق الاستمساك بنظرة منفصلة للعالم، غير متأثرة برغباته الشخصية أو حبه لأرائه الخاصة، ومن ثم استخدم المنطق والعقل لاستنباط على الظواهر الطبيعية، ولتكوين نظريات والتنبؤ بما سيحيي. لقد رفع من قيمة الموضوعية: فالعواطف البشرية

تعرقل انتظام التفكير. تنعدم الكفاءة مع الإصغاء لصوت المشاعر. إن المقاربة العاطفية للمباحث العلمية تجعل المجال مفتوحا أمام العالم لتحريف تأويل المعطيات وتفقدته ثقة الآخرين بعمله ، لا يثق رجل العلم إلا بما يستطيع قياسه وإعادة إجرائه بطريق يمكن التعويل عليها (210) .

أفضى تحديد قوانين الطبيعة إلى خلق أدوات وتقنيات معقدة لمعالجة أمر البيئة تبوأ العلم موقع السلطة في الثقافة الغربية، بفضل قدرة المنهج العلمي وفاعليته، وعن طريق إيضاح الارتباطات بين العلة والمعلول، حل العلم محل الخوارق. والآن ينتظر منه المجتمع أن يخلق موادا جديدة وأساليب لإثبات كفاءتها وأنها آمنة ويمكن الارتكان إليها. وحتى وقت حديث نسبيا، آمن معظم الناس أن سائر المشاكل سوف تجد مع مرور الوقت حلا عن طريق تطبيقات العلم والتكنولوجيا.

افتخار العلم بسلطانه على الطبيعة أدى إلى الغرور أدارت بالرؤوس القدرة على التحكم في الطبيعة والسيطرة عليها صور شعار دي بونت Du Font حياة أفضل من خلال الكيمياء عالما شكله الرجل ويتحكم فيه، حيث يستطيع العيش في رغد ورفاهة. أما العواقب الرهيبة لقلقلة توازن الطبيعة الحبيب فلم تكن قد تراءت بعد (211) .

لم تحدد القيم الذكورية العلم فحسب، وبالتالي استبعدت الأنثوية، بل أيضا أصبح العلم أداة لحرمان المرأة من حقوقها. مثلا كان الكرانولوجي Craniology ، أي علم قياس حجم الجمجمة والمخ، مبحثا علميا هاما خلال القرن التاسع عشر حيث أجريت الكثير من الأبحاث على القدرات الذهنية والمخ. رأى علماء الكرانولوجي أن الذكاء يرتبط ارتباطا مباشرا بحجم المخ وبالتالي راحوا يقيسون أحجام الأدمغة أو بالأحرى أحجام الجماجم ولما كانت جماجم النساء في المعدل العام أصغر من جماجم الرجال استنتج علماء الكرانولوجي أن النساء

ليندا جين شيفر، أنثوية العلم، ترجمة يماني الخولي، عالم المعرفة، الكويت 2004، ص47، (210)

المرجع نفسه، ص48، (211)

أدنى في الذكاء من الرجال، وبالتالي أقل قدرة على التفكير، راح العلماء يخبرون المرأة أن النشاط العقلية عبء ثقيل على أجهزتهن العصبية الحساسة، وتقلل من معدل خصوبتهن. وحتى الآن لا يزال التحيز ضد قدرة النساء على التفكير ماثلاً في مجالات من قبيل البيولوجيا الاجتماعية⁽²¹²⁾.

إن دعاة التمييز بين المرأة والرجل غالباً ما يبررون "الهيمنة الذكورية Male dominance - بحجج ميتافيزيقية ولاهوتية وبيولوجية، فالمرأة تبدو لهم جنساً أدنى من الرجل بالنظر إلى الفوارق البيولوجية بينهما، فالتركيب الهرموني هنا للأنثى يختلف عن التركيب الهرموني للرجل، وهو ما يجعلها عاطفية وضعيفة القوة العضلية فضلاً عن القوة العقلية، ويتحجج البعض بكون المرأة خلقت من ضلع أعوج، وبكون حواء هي مصدر غواية آدم، فهي مصدر الخطيئة والشر. كما تذكر كتب اللاهوت المسيحي، وفي التراث الإسلامي غالباً ماتم الاستناد إلى تأويل بعض النصوص القرآنية والأحاديث مثل "الرجال قوامون على النساء" النساء ناقصات عقل ودين إلى غير ذلك من التبريرات، وقد وقف جارودي " بالمرصاد لكل هذه التبريرات مبيناً بأن هذا التمييز إنما يرجع عوامل تاريخية، فالتهميش والإقصاء الذي تعرضت له المرأة جعلها تبدو وكأنها جنس أدنى من الرجل ويلتقي جارودي مع سيمون دي بوفوار حيث يرى كل منهما أن هذا التمييز مرده إلى عوامل تاريخية لا شأن لها بالدين أو البيولوجيا⁽²¹³⁾.

في منتصف ونهاية الخمسينيات من القرن العشرين، أدخل جون موني وجوان هامبسون وجون هامبسون، الذين كانوا آنذاك في جامعة جونز هوبكنز، مصطلح "الجندر" إلى الأدب العلمي في هذا المجال. في سلسلة من المقالات حول الجنس المزدوج، قدموا حججاً لتحديدات البيئة لـ "الجندر" و"دور الجندر" و "دور الجندر والهوية"، تماماً كما قدم آخرون سابقاً حججاً لتحديدات البيئة لـ

المرجع نفسه، ص49. (212)

(213) R.G.Aroudy: Pour L'avènement de la femme, ed albin Michel paris, 1981 p:4.

"أدوار الجنس" و "الجنس النفسي". وقد اقتنعوا بأن الأطفال يتعلمون "الجندر" في الطفولة المبكرة، بنفس الطريقة التي يتعلمون بها اللغة. وبخلاف ذلك، فإن الجنس البيولوجي، أيا كان تعريفه، لا يحدد "دور الجندر والهوية". اعتمد العلماء الآخرون والعلماء الاجتماعيون على مصطلحات جديدة. في عام 1962، قام العالم النفسي روبرت ستولر وزملاؤه في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس بتأسيس عيادة أبحاث الهوية الجنسية الأولى (GIRC) ⁽²¹⁴⁾.

وفي عام 1968، نشر ستولر كتاب "الجنس والجندر"، ويبدو أنه كان أول كتاب أمريكي يحتوي على كلمة "الجندر" بالشكل غير اللغوي الحالي في عنوانه. بالنسبة لستولر، يشير الجندر إلى التوازن المعين بين الذكورية والأنوثة الموجود في كل شخص. كان لديه "دلالات نفسية أو ثقافية بدلاً من بيولوجية". لم يكن ستولر نسويًا. في الواقع، كان يشعر بالقلق من تلاشي أدوار الجندر ومشكلة التطور لـ "هوية الجندر"، التعبير الجديد الذي صاغه لـ "الجنس النفسي". عمل هو وزملاؤه في GIRC على غرس الذكورية في الأولاد الأنثويين والأنوثة في الفتيات الذكوريين. إذا كان الجندر يعتمد بشكل أساسي على البناء الاجتماعي، فإن شخصًا ما، كما عبروا، يجب إصلاحه عندما يتم بناؤه بطريقة غير صحيحة. قام ستولر وزملاؤه بالتوقيع على هذه المهمة ⁽²¹⁵⁾.

إنتماء بيولوجية الاختلافات الجنسية إلى العلم السئ بدلاً من العلم القياسي. أو بعبارة أخرى أن التداخلات العلمية المغرضة التي تقوم على أساس بيولوجي ترجع إلى الرجل الغربي بما هو كذلك، وأساس آخر متعلق بالاختلافات الجنسانية؛ حيث يبني العلم غير السوي نفسه على هذين الأساسين بدلاً من أن يقام على العلم السوي، وإشارته إلى المقاربات العلمية المختلفة، بمعنى أكثر وضوحاً أنه إذا قام العلم غير السوي على أساس الهيراركية الذكورية والجنسانية المغرضة فإن

(214)Meyerowitz, P1354.

(215) Ibid.p1354.

العلم السوي قد يتوصل إلى نتائج الممارسات العلمية بصورة أقل تحيزاً⁽²¹⁶⁾.

كما أن هناك ثلاث أنواع مختلفة من المتوازيات بين دراسة النسوية ودراسة العلوم البيولوجية ويمكن أن تحدد أحدهما بأنها تاريخيا والثاني معرفيا والثالث سياسيا .

تاريخيا : لا شيء أسوأ من الدراسات النسوية الحديثة التي برزت حقيقتها بتعريف أن النساء في النهاية صنعن وليس ولدن . وأن هناك اختلافاً بين العلوم والطبيعة وبتعريف هذا الاختلاف أتى النمو في مجالين جديدين في الدراسة أحدهما المكرسة لتحليل التفسير الاجتماعي للجنس ، والآخر في التفسير الاجتماعي للعلوم ويجد العلماء أنهم يجب أن يتعاملوا مع أفضل ما يمكن وصفه بعدم (الاستقرار الديناميكي) Dynamic stability في الفئات الأساسية للموضوعات المختصة في حالة وحده للجنس ، والأخري عدم استقرار العلوم التي أطلقت العنان للحقيقة الأكثر تميزاً حيث أنه لم يحدد الجنس وقد ربط العلوم بالطبيعة .

معرفيا : واجهت كل من الفلسفة النسوية والعلوم الطبيعية في الحفاظ على تمييزهم الضروري " بين الجنس والجنوسه من ناحية وبين العلوم والطبيعة من ناحية أخرى " وهذه الظاهرة التي أطلق عليها التوازن المعرفي تجاه البيولوجية الحتمية أو تجاه الليونة المطلقة . ولذلك أيضا تري " إيفلين فوكس كيلر " أنها قامت بمناقشات في العلوم تظهر نفس الاستقطاب الملح تجاه الموضوعات النظرية أو تجاه المذهب النسبي في اتجاه واحد فإن كل من الجنس والعلوم يعودوا إلى إدراك ما قبل الحداثة (ما قبل النسوية) حيث أن الجنس انطوي مرة أخرى داخل الطبيعة⁽²¹⁷⁾.

فالمثالية Idealism ظهرت في ما بعد الحداثة وما بعد النسوية وما بعد العلمي وترى أن الجنس والعلوم

إكرامي عبد الجواد، الإستيمولوجيا النسوية في فلسفة العلم الأمريكية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، 2007، ص ص ١٦-١٧ (216)

(217) Evelyn Fox Keller: The Gender / Science System P :34-36.

تحرروا من قيود الجنس والطبيعة قديماً بحيث أن كلا من
الجنس والعلوم الطبيعية افتقدوا تأثيرهما معا .
أما سياسيا : يمكن تحليل الجنس كفئة تحليلية والعلوم
كفئات نظرية ، فهناك تداخل علمي بين محاولة إعادة
مفهوم الجنس والعلوم كما لو أن الفئتين حرروا وكل
منهم ليس لديه شئ لفعله مع الآخر، بل أنه ظهر فقط في
الانتقادات النسوية الحديثة في العلوم واصبحت متشابكة
وفقا لذلك فإن كلا من الموضوعين (الدراسات النسوية
ودراسات العلوم) بدأت تتقارب⁽²¹⁸⁾ .

وبغض النظر عن أيهما هو أصل الاختلافات ، فإن معظم
الثقافات تربط خصائص معينة بأحد الجنسين أو بالآخر
وتري ليندا جين شيفرد " إنه حتى يومنا هذا يشعر رجال
كثير بالأنوثة بوصفها غريبة و " آخر " تماما والنساء
من حيث هن كائنات للإنجاب يجسدن الطبيعي وغير النظامي
واللاعقلاني . والرجال غالبا لا يفهمون المرأة ، فإنها
تبدو غامضة ولغزا . فضلا عن هذا قد تثير المرأة في
الرجل عواطف وأحاسيس متضاربة - مشاعر قد يراها غير
مؤاتيه كالحب والكراهية - الحبور والأسف - الخوف
والحنق - العار والذنب ، تؤثر على سلوك الشخص بطرق
معقدة ، وفي الغالب يصعب التنبؤ بها . لتخلق
الفوضى . المرأة تحول دون التفكير الواضح الفعال
الدقيق ولكي يشق الرجال طريقهم في هذا العالم ،
عملوا على إسقاط العديد من الصفات المهترنة غير
المرغوبة على ما يبدو من الناحية التاريخية مصدرا
لها ، على المرأة ، حتى ينكروا أي منشأ لها عن
ذواتهم . بهذه الطريقة ألصق الرجال بطاقة الأنثوية على
تلك الصفات التي لاحظوها في المرأة ، بمعية تلك
الصفات التي ينكرونها على أنفسهم . فالحضارة الغربية
تري أن الرجل الناجح هو الموضوعي النابه المنطقي
الفعال العقلاني المستقل . وينتظر المجتمع الغربي من
المرأة أن تكون وديعة تتقبل أي شيء ، سلبية
وعاطفية . لاعقلانية حدسية ذاتية⁽²¹⁹⁾ .

(218)or, Is, Hy Patia, Inc, 1987
ليندا جين شيفرد : أنثوية العلم ، ص ٢٩ (219)

ومن ثم فإن النسوية في القرن العشرين عموماً أرادت أن تكون أعمق من نسويتها من قرينتها في القرن التاسع عشر، أعمق وأشمل من أن تكون ليبرالية أو اشتراكية. فأرادت أن تكون نسوية راديكالية أي جذرية، لاترجع وضع الأنثى إلى أي متغيرات معينة كاستبداد الإقطاع أو الملكية والاستغلال⁽²²⁰⁾.

تحت تأثير حركة المرأة، استحوذت النسويات الأمريكيات على مصطلح "الجندر" في السبعينيات وغيروا معناه. مثل غيرهم قبلهم، استخدم العلماء الاجتماعيون النسويون "الجندر" لرفض فكرة الأنماط المعتقددة للاختلافات الجنسية في السلوك والطباع والفكر ككائنات طبيعية أو فطرية، ولكن على عكس سابقهم، رفضوا الوظيفة وشككوا في ما إذا كان النوع وأدوار الجندر ضروريين أو جيدين. ومع ذلك، لم يكن النوع، بكل تبايناته، يمكن إزالته بسهولة. فقد بني في هيكل وممارسة العائلات والتعليم وأسواق العمل وسياسات الحكومة، وله جذور عميقة في سلوكيات وأوهام النساء والرجال الفرديين. ألفت بعض النساء الأكاديميات النسويات، خاصة في مجالات العلوم الإنسانية، عن دراسة أدوار الجنس وأنظمة الجندر وفصل الجنسين، وركزن بدلاً من ذلك على إعادة إعمار وإعادة التقدير للأنوثة وكتابات النساء والأخلاق النسائية وعوالم النساء⁽²²¹⁾.

بحث البعض عن نهج نظرية يمكن أن توضح كيفية عمل تصورات الاختلاف الجنسي في اللغة والنفس والنظام الرمزي. في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينات، توجه بعض النقاد الأدبيين النسويين الأمريكيين نحو النظرية الفرنسية ما بعد التركيبية. وقد استلهموا أعمال جاك لاكان ورولان بارت وجاك دريدا، وترجموا كتابات هيلين سيكسو، لوس إيريجري، وجوليا كريستيفا. وقد وسعوا نطاقهم من "ثقافة النساء والنص النسائي" إلى "كل الأدب والثقافة". وكتبت سيكسو: "كل نظرية للثقافة، وكل نظرية للمجتمع، وكل مجموعة من النظم

د. يمني طريف الخولي النسوية وفلسفة العلم، ص ٢٠٢ (220)

Meyerowitz, P1354. (221)

الرمزية... كلها ترتبط بترتيبات هرمية تعود إلى
التناقض بين الرجل والمرأة". بحلول أوائل
الثمانينات، أدرك النقاد الأدبيون الذكور التقارب
النسوي مع ما بعد التركيبية. في عام 1983، في
"النظرية الأدبية"، اقترح تيري إيجلتون أن "الانتقال
من التركيبية إلى ما بعد التركيبية كان في جزء منه
استجابة" لمطالب حركة المرأة (222).

في عام 1986، ومع مقالة "الجندر"، ساهمت جوان سكوت
في تعزيز الرابط بين علماء الاجتماع النسويين الذين
نقدوا "الجندر" و"أدوار الجندر" والنقاد الأدبيين
النسويين الذين هدموا التمثيلات النصية لاختلاف الجنس.
وكتبت في لحظة، كما لاحظت، "من الفوضى المعرفية
الكبيرة"، عندما كان علماء الاجتماع يتحولون "من
النماذج العلمية إلى النماذج الأدبية"، وعندما كان
النسويون يجدون "حلفاء علميين وسياسيين" بين ما بعد
التركيبيين. بالنسبة لسكوت، كان النوع "عنصراً
تشكيلياً للعلاقات الاجتماعية استناداً إلى الاختلافات
التي يُدركها بين الجنسين"، وأيضاً "وسيلة رئيسية
للإشارة إلى العلاقات السلطوية". قامت سكوت بتعريف
مزدوج يتيح لها أن تجمع بين علماء الاجتماع الذين
رفضوا الحتمية البيولوجية واستجوبوا الاختلافات
الطبيعية التي يستند إليها والفلاسفة وعلماء علم
النفوس والنقاد الأدبيين الذين اقترحوا أن لغة الاختلاف
تحافظ على النظام الاجتماعي والسياسي الغربي. ولم تكن
هي وحدها في هذا النوع من المساعي. قبل ذلك بعام،
على سبيل المثال، افترض هنري لويس جيتس الابن
(وآخرون) العرق باعتباره "مجازاً للاختلاف النهائي وغير
القابل للاختزال" الذي يجعل الاختلافات بين "الثقافات
والمجموعات اللغوية أو المنتمين لنظم الاعتقاد
المحددة" ملزمة تلقائياً. وفي الولايات المتحدة، كانت
الدراسة العلمية للاختلاف وعدم المساواة، التي كانت
ذات يوم راسخة في العلوم الاجتماعية، قد هاجرت إلى
العلوم الإنسانية وتجذرت في دراسة اللغة. وسرعان ما

انتشر إلى ما هو أبعد من تحليل الأدب وإلى قراءة النصوص المتعددة، بما في ذلك أنواع النصوص التي يستخدمها المؤرخون عادة كأدلة⁽²²³⁾.

النسوية حركة إجتماعية لذلك، كانت «النسوية» حركة اجتماعية، بدأت من خلال سلسلة من حركات المقاومة ضد مفهوم النظام الأبوي وعدم المساواة الاجتماعية ودور الرأسمالية في اضطهاد المرأة. في البداية، كان نظاما وغير متماسك لمعارضة التفكير والممارسة الذكورية، ولكن النظرية النسوية الآن هي مجال راسخ من البحث والدراسة النقديين. لا يقتصر نطاق النظرية الأدبية النسوية على شمول أسلوب إعادة المطالبة، وتأسيس الهوية المستقلة للمرأة في المجالات الاجتماعية وكذلك في المجالات الأدبية، ولكن أيضا التقدم بالتوازي مع الخطاب الأدبي المتمحور حول الذكور. وبالتالي، فإننا اليوم نضم مجموعة واسعة ومتنوعة من المفكرين النسويين الذين يطبقون مناهج ما بعد البنيوية والتحليل النفسي والماركسية وما بعد الاستعمار لإلغاء مركز أيديولوجية الذكور من أجل تحديد وتأسيس وتحقيق العدالة الاجتماعية للمرأة في جميع مجالات الحياة⁽²²⁴⁾.

النسوية هي حركة لتحسين حياة النساء في جميع أنحاء العالم، وتسعى إلى تحقيق المساواة بين الجنسين في كل جوانب الحياة. إنها حركة تعمل على تحويل العالم بأكمله، وتؤمن بأن الحرية والعدالة والمساواة لا يمكن تحقيقها في مجتمعات يمارس فيها الاستبداد والظلم والتمييز. وترفض النسوية العنف والتمييز والاستغلال والاضطهاد، وتسعى إلى إنهاء كل أشكال التمييز بناءً على الجنس والعرق والطبقة الاجتماعية والجنسية والدين والتوجه الجنسي والقدرات الجسدية والعقلية⁽²²⁵⁾.

تاريخ النسوية يمتد إلى العديد من الحركات والأحداث والشخصيات النسوية التي عملت على تحسين حياة النساء وزيادة حريتهن وحقوقهن. وقد شهدت الحركة النسوية

(223)Ibid.p1355.

(224)Raina,J.A.P.3375.

(225)hooks, b. Feminism is for Everybody: Passionate Politics. Pluto Press, 2000.

الأمريكية عدة مراحل وتطورات على مدى السنوات الماضية، بدءاً من الحركة النسوية الأولى في القرن التاسع عشر وحتى الحركة النسوية الثالثة في القرن العشرين، وهي الحركة التي تركز على العدالة الاجتماعية والتنوع والتضامن والعدالة الاقتصادية والتنوع الجنسي وحقوق الأقليات. وتعتمد النسوية على النظرية النسوية التي تعترف بأن النساء يتعرضن لظلم وتمييز على أساس الجنس، وتسعى إلى تحقيق المساواة بين الجنسين والعدالة والتمييز بناءً على الجنس والعرق والطبقة الاجتماعية والجنسية والدين والتوجه الجنسي والقدرات الجسدية والعقلية⁽²²⁶⁾.

النسوية هي عبارة عن نظرية وحركة تسعى إلى إنهاء التمييز ضد النساء وتحقيق المساواة بين الجنسين في المجتمع وتتركز النسوية على فهم الجنس كمفهوم ثقافي واجتماعي يؤثر على حياة النساء والرجال، وتعتبر النسوية أيضاً حركة للتحرر الشامل من الظلم والقهر والتمييز بالنسبة لجميع الأفراد والمجموعات المهمشة⁽²²⁷⁾.

تعتبر النسوية حركة اجتماعية وفكرية نشأت في القرن التاسع عشر، وتهدف إلى تحقيق المساواة بين الجنسين وإنهاء التمييز والظلم الذي يتعرض له النساء. وتعتمد النسوية على النظرية النسوية التي تؤكد على أهمية فهم الجنس كمفهوم اجتماعي وثقافي، وتركز على البحث في تأثير الجنس على العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وتعتبر النسوية أيضاً حركة تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، وتناضل لإنهاء التمييز والاستبداد والقهر بشكل عام، وليس فقط بالنسبة للنساء. وتتعامل النسوية مع قضايا متعددة، مثل العنف ضد النساء، والتمييز في العمل، وحقوق الإنجاب والتمثيل السياسي، والحرية الجنسية، والتنوع الجنسي. وتعتبر النسوية حركة ديناميكية ومتغيرة، وقد شهدت عدة موجات من التطور في الفكر والممارسة، وتباين

(226)Swan, D., Dubois, C., & Ross, C. (2014). *Feminism Unfinished: A Short, Surprising History of American Women's Movements*.

Liveright Publishing. P. 2

(227)Hooks, B. *Introduction to feminism*. Routledge., 2014, P. 1.

الآراء داخل الحركة بشأن الأولويات والاستراتيجيات والأساليب المثلى لتحقيق الأهداف المشتركة (228) .
ولقد كانت من أهم المطالب التي نادت بها النسوية في موجتها الأولى الحق في التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات وفي المؤسسات الطبية والقانونية واللاهوتية والشراكة في العمل والمكسب والمخاطرة ولمكافأتها في الصناعة المنتجة وحصة متساوية في صياغة القانون وتنفيذه من خلال جمعيات تشريعية ومحاكم ومكاتب تنفيذية وأن للمرأة الحق في التصويت (229) .
حيث إنصبت مطالبهن على زيادة فرص الالتحاق بالوظائف العليا في المجتمع وإقرار حق المرأة في الملكية الخاصة إلى جانب بعض التعديلات القانونية الأخرى التي أدخلت على حقوق حضانة الأطفال وحق الإقتراع (230) .
إن الموجة النسوية الأولى هي باكورة موجات تحرير المرأة بلخصها هذا الوصف للكاتبة الشهيرة فرجينيا وولف بتصوير واقع النساء: النساء من ضحايا لأنفسهن وضحايا للرجال في آن واحد، حيث إنهن يحملن المجتمع على عاتقهن من خلال أداء وظيفة المرأة العاكسة لعالم الرجال. الأحمر وعملت هذه الموجة على رصد النظرة التاريخية في تعامل الرجل مع المرأة وتميزت هذه الموجة بالإستخدام المكثف للغه الأدبية لتصوير معاناة النساء (231) .

هكذا بدأت النسوية مع القرن التاسع عشر حركة إجتماعية توالد عنها فكر نسوي وفي مرحلة لاحقه نشأت عنها منذ سبعينات القرن العشرين فلسفة نسوية ظلت بدورها أكثر من أي فلسفة أخرى إرتباطا بالواقع العيني والجزئي والعرضي واليومي والمعاش والعادي والشائع، فهي فكر وواقع متحاورين فهي رفض تام لوضعية المرأة كأدنى خاضع لصالح الرجال فارضين على المرأة

(228) Nakano, E. Feminism and social justice. Oxford University Press. 2005, P. 1-2.

نقلًا عن إيمان عاشور : دور الاتجاه النسوي في تزايد الإلحاد في الغرب، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة المنصورة، 2023، ص34.

ويندي كيه كولمار ، فرنسيس بارتوكوفسكي : النظرية النسوية ، ترجمة عمار إبراهيم، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 2010، ص118. (229)

أحمد عمرو النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية قراءة في المنطلقات الفكرية، وحدة الدراسات الإسلامية بالمركز، ص ١٤٣ (230)

طاهره عامر إطلالة على تيارات نسوية ومراوية في الغرب له لها أون لاين عدد ديسمبر ٢٠١٣ (231)

أشكال القهر والكبت وكل الحدود والقيود مانعين عنها
كل إمكانيات النماء والعطاء⁽²³²⁾.

تعقيب

إن استكشاف مفهوم التمثيل الديناميكي للواقع والذات
يمثل خطوة هامة في تطوير التكنولوجيا الافتراضية.
فهذا المفهوم يساعدنا على فهم كيفية تمثيل العالم
الحقيقي والكائنات الفردية في البيئات الافتراضية،
ويعزز الوعي بأهمية تجربة المستخدم وتفاعله الفعّال
مع هذه البيئات.

من خلال النظرة التقليدية، التي تعتمد على التخطيط
المسبق والتنظيم في البيئات الافتراضية، يمكننا أن
نرى كيف يمكن للتمثيل الضمني أن يسهم في تحقيق تجربة
واقعية ومنظمة. ومع ذلك، يجب أن نأخذ في الاعتبار أن
هذا النهج قد يكون مقيداً إلى حد ما وقد لا يعكس بشكل
كامل التفاعلات والاستجابات الفورية التي نشهدها في
الواقع الحقيقي.

بالمقابل، تعتبر النظرة الإيكولوجية أو البيئية
للمثيل الديناميكي للواقع والذات نهجاً مثيراً
للاهتمام. فهذا النهج يؤكد على أهمية الأنشطة المجسدة
والتجاوب الفوري مع البيئة في تحقيق تجربة واقعية في
الواقع الافتراضي. وهو يفتح الباب أمام إمكانيات
جديدة للتفاعل الشخصي والاستجابة الديناميكية في
البيئات الافتراضية.

من خلال تحليل الآراء المتعارضة والأبحاث المعاصرة في
هذا المجال، يمكننا أن نتوصل إلى فهم أعمق لتأثير
البيئات الافتراضية على سلوكنا واتصالاتنا. كما يمكننا
أن نتطلع إلى الاستفادة من هذه التقنية في مجالات
متنوعة مثل التدريب والتعلم، الرعاية الصحية،
الألعاب، وحتى الترفيه. يمكن أن يسهم التمثيل
الديناميكي للواقع والذات في تحسين تجربة المستخدم
وتوفير فرص جديدة للابتكار والتفاعل.

يمنى طريف الخولي النسوية وفلسفة العلم ، ص ١٢ (232)

مع ذلك، يجب أن نأخذ في الاعتبار أيضًا التحديات والمخاطر المحتملة المرتبطة بهذه التكنولوجيا. من بين هذه التحديات، قد تكون القضايا المتعلقة بالخصوصية والأمان والتأثير النفسي للبيئات الافتراضية هي الأكثر بروزًا. يجب أن نضمن وجود آليات قوية لحماية بيانات المستخدم وضمان سلامتهم النفسية أثناء التفاعل مع البيئات الافتراضية.